

محمد بن ناصر العبودي

في

رحلات كاريبية

غاييتي من السفر إلى هاييتي

وحديث عن الإسلام

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م

③ محمد بن ناصر العبودي ، ١٤٢٣هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

العبودي ، محمد بن ناصر

غايتي من السفر إلى هايتي - الرياض .

١٩٨ ص ؛ ١٤ × ٢١ سم

ردمك : ١ - ٣٢٤ - ٤١ - ٩٩٦٠

٢ - الدعوة الإسلامية

١ - هايتي - وصف ورحلات

أ - العنوان

٢٣ / ٥٦٦

ديوي ٩٤ ، ٩٧٢

رقم الايداع ٢٣ / ٥٦٦

ردمك : ١ - ٣٢٤ - ٤١ - ٩٩٦٠

كتب مطبوعة في الرحلات للمؤلف

- (١) في إفريقية الخضراء: مشاهدات وانطباعات وأحاديث عن الإسلام والمسلمين - بيروت دار الثقافة ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م.
- (٢) رحلة إلى جزر مالديف إحدى عجائب الدنيا - الرياض دار العلوم ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.
- (٣) مدغشقر بلاد المسلمين الضائعين - الرياض النادي الأدبي ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.
- (٤) جولة في جزائر البحر الزنجي أو حديث عن الإسلام والمسلمين في جزر المحيط الهندي - الرياض - المطابع الأهلية للأوفست ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م.
- (٥) رحلة إلى سيلان - الرياض - جمعية الثقافة والفنون ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٢م.
- (٦) صلة الحديث عن إفريقية مشاهدات وانطباعات وأحاديث عن الإسلام والمسلمين - نشرته دار العلوم في الرياض ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.
- (٧) مشاهدات في بلاد العنصريين، رحلة إلى جنوب إفريقية وحديث في شؤون المسلمين - نشره نادي القصيم الأدبي في بريدة ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

- (٨) إطلالة على نهاية العالم الجنوبي - مكة المكرمة - نادي مكة الثقافي ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م.
- (٩) زيارة لسلطنة بروناي الإسلامية - طبع بمطابع الرياض الأهلية للأوفست عام ١٤٠٥هـ / ١٩٨٤م.
- (١٠) شهر في غرب إفريقية مشاهدات وأحاديث عن المسلمين - الرياض - المطابع الأهلية ١٤٠٥هـ / ١٩٨٤م.
- (١١) في نيبال بلاد الجبال، رحلة وحديث في شؤون المسلمين - الرياض - مطابع الفرزدق ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.
- (١٢) رحلات في أمريكا الوسطى - المطابع الأهلية للأوفست في الرياض ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.
- (١٣) إلى أقصى الجنوب الأمريكي رحلة في الأرجنتين وتشيلي - الرياض ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م.
- (١٤) على ضفاف الأمازون، رحلة في المنطقة الاستوائية من البرازيل - نشره النادي الأدبي في أبها ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م.
- (١٥) على قمم جبال الأنديز - الرياض مطابع الفرزدق التجارية ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م.
- (١٦) في غرب البرازيل - الرياض - مطابع الفرزدق التجارية ١٤١٢هـ / ١٩٩١م.
- (١٧) في بلاد المسلمين المنسيين: بخارى وما وراء النهر - طبع في مطابع الفرزدق التجارية عام ١٤١٢هـ / ١٩٩١م.

- (١٨) بقية الحديث عن إفريقية - مطابع الفرزدق التجارية في الرياض عام ١٤١٢هـ.
- (١٩) جولة في جزائر البحر الكاريبي - مطابع الرياض الأهلية للأوفست عام ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.
- (٢٠) جولة في جزائر جنوب المحيط الهادئ - مطابع الفرزدق في الرياض عام ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.
- (٢١) داخل أسوار الصين (مجلدان) - مطابع الفرزدق التجارية - الرياض عام ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.
- (٢٢) بلاد الداغستان - طبع مطابع الفرزدق التجارية بالرياض عام ١٤١٣هـ.
- (٢٣) الرحلة الروسية - مطابع الفرزدق عام ١٤١٤هـ.
- (٢٤) مع المسلمين البولنديين - مطابع الفرزدق في الرياض عام ١٤١٣هـ.
- (٢٥) جمهورية أذربيجان - طبع مطابع الفرزدق التجارية في الرياض عام ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.
- (٢٦) في أعماق الصين الشعبية - نشرته مجلة المنهل.
- (٢٧) بين الأرغواي والبارغواي - مطابع الفرزدق التجارية في الرياض عام ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.
- (٢٨) بورما الخبر والعيان - طبع بيروت عام ١٤١٢هـ.

- (٢٩) مقال عن بلاد البنغال - طبع بالرياض عام ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م.
- (٣٠) ذكريات من يوغسلافيا - مطابع الفرزدق التجارية في الرياض عام ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م.
- (٣١) كنت في بلغاريا - مطابع الفرزدق عام ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م.
- (٣٢) في جنوب الصين - طبعته رابطة العالم الإسلامي بمطبعاتها في مكة المكرمة عام ١٤١٤هـ.
- (٣٣) كنت في ألبانيا - مطابع الفرزدق التجارية بالرياض عام ١٤١٤هـ.
- (٣٤) ذكرياتي في إفريقية - محاضرة طبعها رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة.
- (٣٥) أيام في النيجر - طبع بيروت عام ١٤١٤هـ.
- (٣٦) على أرض القهوة البرازيلية - مطابع الفرزدق التجارية في الرياض عام ١٤١٥هـ.
- (٣٧) نظرة في شرق أوروبا وحالة المسلمين بعد الشيوعية - طبع بيروت عام ١٤١٤هـ.
- (٣٨) بين غينيا بيساو وغينيا كوناكري - مطابع الفرزدق التجارية عام ١٤١٤هـ.
- (٣٩) من أنقولا إلى الرأس الأخضر - مطابع الفرزدق بالرياض عام ١٤١٤هـ.

- (٤٠) سياحة في كشمير - مطابع الفرزدق عام ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م.
- (٤١) يوميات آسيا الوسطى - مطابع الفرزدق التجارية عام ١٤١٤هـ.
- (٤٢) نظرة في وسط إفريقية - مطابع الفرزدق عام ١٤١١هـ / ١٩٩١م.
- (٤٣) بلاد القرم - نشرته دار القبلة في جدة.
- (٤٤) قصة سفر في نيجيريا (مجلدان) - مطابع الفرزدق التجارية في الرياض.
- (٤٥) حديث قازاقستان - نشرته دار القبلة في جدة (تحت الطبع).
- (٤٦) المسلمون في لاوس وكمبوديا: رحلة ومشاهدات ميدانية - نشرته رابطة العالم الإسلامي في سلسلة دعوة الحق، وطبعته في مطبعتها عام ١٤١٦هـ.
- (٤٧) في جنوب الهند من سلسلة الرحلات الهندية - طبع في مطابع الفرزدق التجارية في الرياض عام ١٤١٧هـ.
- (٤٨) رحلات في أمريكا الجنوبية: غيانا وسورينام، مطابع التقنية في الرياض عام ١٤١٩هـ.
- (٤٩) إطلالة على أستراليا - طبع في مطابع التقنية للأوفست - الرياض عام ١٤١٧هـ.
- (٥٠) أيام في فيتنام - نشرته دار خضر للطباعة والنشر في بيروت عام ١٤١٧هـ.

(٥١) في غرب الهند - من سلسلة الرحلات الهندية - نشرته رابطة العالم الإسلامي عام ١٤١٧هـ.

(٥٢) إطلالة على موريتانيا - نشرته دار خضر للطباعة والنشر في بيروت عام ١٤١٧هـ.

(٥٣) حديث قيرغيزستان، دراسة في ماضيها ومشاهدات ميدانية - نشرته دار خضر للطباعة والنشر في بيروت عام ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م.

(٥٤) زيارة رسمية لتايوان، نشر دار خضر للطباعة والنشر في بيروت عام ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م.

(٥٥) سطور من المنظور والمأثور عن بلاد التكرور - مطابع النرجس التجارية بالرياض عام ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

(٥٦) راجستان: بلاد الملوك من سلسلة الرحلات الهندية - مطابع الفرزدق التجارية بالرياض عام ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م.

(٥٧) في شرق الهند، من سلسلة الرحلات الهندية - طبع في مطابع التقنية للأوفست في الرياض عام ١٤١٩هـ.

(٥٨) العودة إلى الصين، من سلسلة الرحلات الصينية - طبع في مطابع النرجس في الرياض عام ١٤٢٠هـ.

(٥٩) في شرق البرازيل، من سلسلة الرحلات البرازيلية - طبع في مطابع التقنية في الرياض، عام ١٤١٩هـ.

(٦٠) هندوراس ونيكاراقوا وكوستاريكا (من سلسلة الرحلات في جمهوريات الموز)، مطابع التقنية في الرياض، عام ١٤١٩هـ.

(٦١) من بلاد القرتشاي إلى بلاد القبرداي، من سلسلة الرحلات القوقازية - طبع في مطابع التقنية للأوفست في الرياض، عام ١٤٢٠هـ.

(٦٢) بلاد التتار والبلغار، من سلسلة رحلات الشمال - نشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبعته بمطبعتها في مكة المكرمة عام ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

(٦٣) بلاد الشركس: الإديغي - طبع مطابع التقنية في الرياض عام ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

(٦٤) مواطن إسلامية ضائعة - مطابع التقنية في الرياض عام ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

(٦٥) تائه في تاهيتي - طبعته مطابع التقنية بالرياض عام ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

(٦٦) نظرة إلى الفلبين بين زيارتين: رسمية وخاصة. مطابع النرجس في الرياض عام ١٤٢٠هـ.

(٦٧) ذكريات من الاتحاد السوفييتي. مطابع النرجس بالرياض عام ١٤٢٠هـ.

(٦٨) نظرة إلى الوجه الآخر من الأرض أو رحلة إلى أبعد مكان:
جولات في أقصى جزر المحيط الهادئ الجنوبي. طبع في مطابع
التقنية في الرياض عام ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

(٦٩) في إندونيسيا أكبر بلاد المسلمين. طبع في مطبعة النرجس في
الرياض عام ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

(٧٠) قرينادا وسانتالوسيا ودومنيكا، من سلسلة الرحلات
الكاريبية، مطبعة العلا في الرياض ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

(٧١) مشاهدات في تايلند، مطابع النرجس في الرياض، عام
١٤٢١هـ.

(٧٢) مع العمل الإسلامي في القارة الأسترالية، جولة وحديث في
شؤون الإسلام، مطابع النرجس في الرياض، عام ١٤٢١هـ.

(٧٣) فطاني أو جنوب تايلند، مطابع المسموعة في الرياض ١٤٢١هـ
٢٠٠٠م.

(٧٤) الاستفادة من السفر إلى شاد، مطابع التقنية في الرياض ١٤٢١هـ
٢٠٠٠م.

(٧٥) إقليم سمار وأستراخان « من سلسلة الرحلات في جنوب
روسيا، نشرته دار خضر للطباعة والنشر في بيروت، عام
١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

(٧٦) في جنوب البرازيل، من سلسلة الرحلات البرازيلية، . مطابع
التقنية في الرياض عام ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

- (٧٧) شمال شرق الهند، رحلة في ولايتي بيهار وإترابراديش وحديث عن المسلمين، مطابع النرجس في الرياض ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
- (٧٨) بلغاريا ومقدونيا، من سلسلة رحلات في بلاد البلقان، طبع في مطابع الجاسر في الرياض، عام ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
- (٧٩) بلاد البلطيق، طبع في مطابع الجاسر في الرياض، عام ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.
- (٨٠) بيليز والسلفادور - رحلات في جمهوريات الموز - ، طبع في مطابع العلا في الرياض عام ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
- (٨١) ((العودة إلى ما وراء النهر)) جولة في آسيا الوسطى، وحديث عن شؤون المسلمين، طبع في مطابع المسموعة، الرياض، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م..
- (٨٢) ((على سقف العالم)) رحلة إلى التبت، وحديث في شؤون المسلمين، نشره نادي القصيم الأدبي في بريدة عام ١٤٢٢هـ.
- (٨٣) الإسلام والمسلمون في غرب إفريقية، أو بقية البقية من حديث إفريقية، طبع في مطابع النرجس في الرياض ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
- (٨٤) غاييتي من السفر إلى هايتي، وهو هذا الكتاب.

مؤلفاته المطبوعة في غير فن الرحلات

- (٨٥) معجم بلاد القصيم (في ستة مجلدات) - نشرته دار اليمامة بالمطابع الأهلية للأوقفت بالرياض عام ١٣٩٩هـ، ثم طبع مرة أخرى في عام ١٤١٠هـ.
- (٨٦) أخبار أبي العيناء اليمامي - طبع في الرياض وببيروت عام ١٣٩٨هـ.
- (٨٧) الأمثال العامة في نجد (خمسة مجلدات) ساعدت دارة الملك عبد العزيز في الرياض على طبعه، ونشرته دار اليمامة للطبع والنشر عام ١٣٩٨هـ.
- (٨٨) كتاب الثقلاء - نشرته الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون في سلسلة الكتاب السعودي.
- (٨٩) نفحات من السكينة القرآنية - طبع أكثر من مرة آخرها طبعة لوزارة المعارف لتوزيعها على مكتبات المدارس - نشرته دار العلوم في الرياض عام ١٤٠٣هـ.
- (٩٠) مآثورات شعبية - نشرته الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون في سلسلة الكتاب السعودي.
- (٩١) سوانح أدبية - طبع مطابع الفرزدق التجارية بالرياض عام ١٤٠٥هـ.

- (٩٢) صور ثقيلة - مطابع الفرزدق التجارية بالرياض عام ١٤٠٥هـ.
- (٩٣) العالم الإسلامي والرابطة - نشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبع في مطبعتها عام ١٤١٤هـ.
- (٩٤) نظرة إلى العلاقات العربية مع أهالي جنوب الصحراء - مطابع التقنية في الرياض عام ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م.
- (٩٥) المقامات الصحراوية - مطابع التقنية في الرياض عام ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م.
- (٩٦) مساعدات المملكة العربية السعودية للمسلمين، وبخاصة الأقليات المسلمة - بمناسبة مرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية - نشرته لجنة الاحتفال بمرور مائة عام على التأسيس، وطبعته في مطابع الناشر العربي في الرياض ١٤١٩هـ.
- (٩٧) كلمات عربية لم تسجلها المعاجم، أحد بحوث المؤتمر الثاني للأدباء السعوديين، ونشرته جامعة أم القرى في مكة المكرمة عام ١٤٢٠هـ.
- (٩٨) المملكة العربية السعودية بين الماضي والحاضر (مناسبة مرور مائة عام على تأسيس المملكة) - ونشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبعته في مطابعها في مكة المكرمة.

(٩٩) مدلولات كلمات قضى عليها حكم الملك عبد العزيز، نشرته الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون (مناسبة مرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية).

(١٠٠) رابطة العالم الإسلامي إحدى القنوات السعودية لمساعدة المسلمين - نشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبعته في مطبعتها بمكة المكرمة عام ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

(١٠١) الدعاة إلى الله: شرف مهمتهم، وطرق دعمهم. نشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبعته في مطبعتها في مكة المكرمة عام ١٤٢٠هـ.

(١٠٢) واجب المسلم في بلاد الأقليات. نشرته رابطة العالم الإسلامي عام ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

(١٠٣) "العالم الإسلامي: واقع وتوقعات" نشرته مجلة (العربية) التي تصدر في الرياض مصاحباً لعدد ذي الحجة ١٤٢٠هـ منها

(١٠٤) الدعوة الإسلامية وإعداد الدعاة، طبعت في مطابع الجاسر، الرياض، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.

(١٠٥) ((حِكْمُ العوام))، طبعت في مطابع الجاسر، الرياض، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.

(١٠٦) في لغتنا الدارجة: كلمات قضت، (كتاب لغوي) طبعته

بنفقتها ونشرته ضمن منشوراتها داره الملك عبد العزيز في
الرياض (تحت الطبع) في أربعة أجزاء.

(١٠٧) حكايات تحكى (قصص)، نشره نادي القصيم الأدبي في
بريدة، عام ١٤٢١هـ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، الذي يسر لنا زيارة أوطان المسلمين، ومهاجر عباده المؤمنين الأذنين منهم والأبعدين، حتى لم يبقَ في الأرض مكان لم تطأه أقدامنا، أو لم يمثل ترابه أمامنا، إذا كان ذلك دولة من الدول، ولو صغيرة، أو عاصمة مغمورة أو شهيرة.

اللهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك وصفيك من خلقك، خاتم الأنبياء والمرسلين، محمد بن عبد الله الذي بعثته بأعظم رسالة سماوية خاتمة للرسالات، ومهيمنة على الدعوات، أخذ بها الأذنون من قومنا العرب مثلما أخذ بها الأبعدون داراً، وإن كانوا في المودة لنا كالأقربين جواراً، حتى بلغت مشارق الأرض ومغاربها، وما خفي أو انزوى من أطرافها ومسالكها.

الحمد لك - يارب - على أن جعلت قادة بلادنا يرون مساندة المسلمين أينما كانوا في الأرض، ومن أي قبيلة أو طائفة من الناس، وجعلت لكاتب هذه السطور شرف حمل المعونة، وسهلت له في ذلك المؤونة، حتى طاف في الأرض بما لم يطف به أمثاله، ووصل في مجاهلها إلى ما عَزَّ الوصول إليه أو بعد مناله.

وكان من ذلك قطران من أقطار بحر الكاريب، الواقع بين الأمريكيتين الشمالية والجنوبية، هما (كوبا) و(هايتي)، فيسرت لنا في هذه المرة أن نزورهما، ونسلم على المسلمين من أهلهما. وننظر في كيفية التعاون ما بينهم وبين المؤسسات والهيئات الدولية في بلادنا، بلاد الحرمين الشريفين، وبخاصة رابطة العالم الإسلامي التي نعمل فيها، والتي تتخذ من جوار الكعبة المشرفة في مكة المكرمة مقراً، ومنها انطلقنا وسوف ننطلق ما شاء الله أن ننطلق، طيلة ما ظللنا نعمل فيها، وما يشاء الله أن نعمل. وهو عمل لله، وفي سبيل الله إن شاء الله.

وهذا الكتاب يتعلق بالمشاهدات التي شاهدناها في قطر مهم في بحر الكاريب، هو هايتي الواقعة في جزيرة (هسبنولا) ثانية الجزر في هذا البحر، ومع ذلك تتقاسم أرضها دولتان، هما هايتي وجمهورية الدومنيكان، وأما الجزيرة الأولى في البحر الكاريبي من حيث الحجم، وكثرة السكان فإنها جزيرة كوبا، التي زرتها قبل هايتي.

تأخر زيارة هايتي:

لزيارة هايتي قصة طويلة، فقد وضعتها في برنامج زيارتي لأمريكا الجنوبية في عام (١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م)، وقطعت تذكرة إليها مع تذاكر السفر من مكة المكرمة، وقد بدأنا بزيارة أمريكا الجنوبية، وهي زيارة استطلاعية كان القصد منها تقويم العمل الإسلامي الذي تقوم به المملكة العربية السعودية في أمريكا الجنوبية، ومعرفة المساعدات التي قدمت للجهات الإسلامية هناك، وذلك من أجل تغيير طريقة صرف المساعدات إلى طريقة أخرى، أو الاستمرار في ذلك.

وكان يرافقني الأخ الشيخ محمد بن إبراهيم بن قعود مدير إدارة الدعوة في رئاسة الإفتاء في المملكة العربية السعودية، وهي مثل رابطة العالم الإسلامي تبعث الدعاة إلى المسلمين في البلدان الخارجية، ومنها أمريكا الجنوبية.

وقد زرنا في البرازيل وحدها ٢٦ مدينة في تلك السفرة، شملت ولايات عديدة في البرازيل، ثم من البرازيل ذهبنا إلى الأرجواي والأرجنتين، ومن هناك عدنا شمالاً إلى فنزويلا، وقد انقضت الأيام التي خصصناها للرحلة قبل الوصول إلى هايتي، فألغيت زيارة هايتي من البرنامج، وتوجهنا من كاراكاس إلى نيويورك، ثم جدة.

وبعد ذلك بسنتين، رسمت خطة لجولة في أستراليا وأمريكا الجنوبية على أن أزور فيها جزر (تاهيتي) في أقصى المحيط الهادئ، وجمهورية (هايتي) هذه في البحر الكاريبي،

وراق لي عنوان ورد على ذهني لكتاب أجعله عن زيارة
البلدين، فيكون « بين تاهيتي وهايتي »، غير أنني زرت
(تاهيتي) وكتبت عنها كتاباً بعنوان: « تأئه في تاهيتي »، وهو
كتاب مطبوع.

وقبل سنتين فقط كنت رسمت زيارة إلى جزر البحر
الكاريببي، جعلتها تنتهي بزيارة كوبا وهايتي، فقدمت إلى
منطقة الكاريبي من باريس إلى جزر مارتينيك، ومنها إلى
جزيرة (بريادوس)، وألف ذلك أول كتاب في هذه الرحلة، ثم
زرت قرينادا وسانتالوسيا ودومنيكا، وهي جزيرة كاريبية
لا علاقة لها بالموقع، ولا بالسكان الذين في جمهورية
الدومنيكان، وهذه الجزر الثلاث كتبت عنها الكتاب
الثاني. وبعدها كان الكتاب الثالث عن جزر (قواي لوب
وانتيقوا وسانت مارتن)، أما الكتاب الرابع من تلك الكتب
عن الرحلة الكاريبية، فكان عن (بورتوريكو وجمهورية
الدومنيكان) التي تتقاسم جزيرة (هسبنيولا) مع جمهورية
هايتي، وضاق الوقت عن زيارة كوبا، وأما هايتي فإنه كانت
فيها اضطرابات سياسية لا يمكن معها زيارة مثلي، فطويت
صفحاً عن زيارة كوبا وهايتي، وتوجهت من (سانتو دومينغو)
عاصمة جمهورية الدومنيكان إلى ميامي، ومنها دون أن
أدخلها أي ميامي إلى مطار جون كندي في نيويورك، إذ
سافرت منه إلى جدة دون أن أدخل مدينة (نيويورك).

وهكذا كانت (هايتي) وجارتها في الجزيرة القريبة
كوبا مما استعصى علي الذهاب إليها مقروناً بغيرها، فقررت

هذا العام أن أذهب إليها قبل أي بلد آخر في رحلة تبدأ بكوبا، وتنتهي بمدينة لشبونة عاصمة البرتغال على الخط التالي: كوبا، ثم هايتي، ثم جزر البهاما، وبعدها جزيرة برمودا، ثم جزر الأزور في المحيط الأطلسي، وهي تابعة للبرتغال، بعدها نزور مدينة لشبونة في البرتغال، نعود إلى بلادنا عن طريق روما بإذن الله.

وقد انتهى القسم الأول من هذه الجولة بانتهاء زيارة كوبا ولله الحمد، وأتممت كتابة كتاب عن ذلك عنوانه: «السفر والأوبة من كوية».

وهذا هو الكتاب الثاني عنوانه: «غاييتي، من السفر إلى هايتي».

ولم نجد طيراناً مباشراً من كوبا إلى هايتي، ولا من هايتي إلى جزر البهاما، لذلك حصلنا من السفارة الأمريكية في بلادنا على سمة دخول طويلة لعدة سفرات، وقد أعطوني إياها لمدة سنتين بسفرات غير محددة، طيلة هاتين السنتين فمكنتني ذلك من التنقل ما بين تلك الأقطار وبين مدينة ميامي في ولاية فلوريدا الأمريكية.

فكان هذا الكتاب عن زيارة هايتي، وأما جزر البهاما فإن ذكرها في كتاب آخر عنوانه: «التشريق بعد التغريب في بحر الكاريب».

الغاية من الزيارة:

إن غاييتي من زيارة هاتين الدولتين: كوبا، وهايتي هي

غاييتي من السفر إلى هايتي

غاييتي من السفر إلى البلدان، وهو ما ذكرته من الاتصال بالإخوة المسلمين فيها، وتقديم بعض المساعدات العاجلة لهم، ورسم خطط التعاون معهم في المستقبل، ولشيء آخر خاص بهذه الجولة وهو دعوة زعماء المسلمين الذين هم رؤساء الجهات الإسلامية فيها إلى المؤتمر الإسلامي العام الذي ستقيمه رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة، وقد قدمت الدعوة بالفعل للعاملين في شؤون الدعوة هناك. وقمنا بالاتصال بأعداد كبيرة من الإخوة المسلمين في منطقة البحر الكاريبي، وعملنا على توثيق العلاقات الأخوية الإسلامية معهم.

والله موفق.

بورت أوبرنس (هايتي)

١٨/١٢/١٤٢٠هـ - ٢٤/٣/٢٠٠٠م

المؤلف

محمد بن ناصر العبودي

جمهورية هايتي

الموقع والجغرافيا:

تشكل هايتي الثلث الغربي لجزيرة هسبانيولا HISPANIOLA التي تقع في البحر الكاريبي الذي تفصلها مياهه عن كوبا وجامايكا، كما تفصلها عن الولايات المتحدة الأمريكية، وأما في الشرق فتجاورها جمهورية الدومنيكان التي تحتل ثلثي جزيرة هيسبانيولا.

وهايتي في الواقع تتكون من ثلاثة أجزاء.

فالجزء الشمالي يتكون من مرتفعات تتخللها سهول ووديان، وهي امتداد للمرتفعات الوسطى التي تخترق حدود الدومنيكان من الشرق إلى غرب شبه الجزيرة الشمالية، ويتراوح ارتفاعها ما بين ٦٠٠ إلى ١١٠٠ متر، وتتحصر السهول الشمالية ما بين هذه الجبال وساحل المحيط الأطلسي الشمالي بطول قدره ١٥٠ كيلومتراً، وعرض يتراوح اتساعه ثلاثين كيلومتراً.

والجزء الأوسط يضم سهلين وسلسلتي جبال، فالهضاب الوسطى تمتد على طول نهر غوياماموك GUAMAMOUK في جنوب المرتفعات الشمالية، وفي جنوب هذه الهضاب الجبال السوداء التي تتصل بالمرتفعات الشمالية، ويبلغ ارتفاعها نحو ٦٠٠ متر، وفي الجنوب الغربي من هذه الجبال يجري نهر ارتيبوني ARTIBONITE في السهل الذي يحمل اسمه، وفي الجنوب من هذا السهل الذي تبلغ مساحته ٨٠٠ كم مربع توجد

سلسلة ماثيو MATHEUX وجبال تروديو TROUD'EAU التي تعتبر امتداداً لسلسلة جبال سيرا دي نيبال SIERRADE NEIBAL التي تبدأ من الدومنيكان.

والجزء الجنوبي يضم سهل كول دي ساك CUL DE SAC الذي يبلغ طوله من حدود الدومنيكان ٢٢ كيلومتراً، وعرضه نحو ١٢ كيلومتراً في أقصاه، وأما المرتفعات فهي امتداد لسلسلة جبال باوروكو BAORURCO التي تخترق حدود هايتي مع الدومنيكان وتتصل بجبال سل SELLE في الشرق، ثم بجبال هوت HOTTE التي يتراوح ارتفاعها ما بين ١٢٧٠ إلى ٢٢٥٥ متراً في الغرب، وفي جبال سل SELLE ترتفع أعلى قمة في هايتي، إذ يبلغ ارتفاعها نحو ٢٧١٥ متراً.

ومن بين الجزر العديدة التي تتبع هايتي أربع جزر كبيرة إلى حد ما، منها جزيرة جونايف GONAVE التي تبلغ مساحتها ٦٠×١٥ كيلومتراً، وجزيرة تورتو TORTUE التي تقع في شمال شبه الجزيرة الشمالية، ويفصلها عن العاصمة بورت أو برنس PORT AU PRINCE ممر مائي طوله ١٢ كيلومتراً، وجزيرة فاشه VACHE في جنوب شبه الجزيرة الجنوبية، وجزيرة غراند كايميت GRANDE CAYEMITE في شمالها.

ويتصف مناخ هايتي بأنه حار ورطب، فالرياح الشمالية تجلب الرطوبة إلى هايتي خلال شهور نوفمبر إلى يناير في فصل الصيف الجاف، ولكن خلال أشهر فبراير إلى مايو يكون الطقس رطباً

جداً، وتهب خلالها الرياح الشمالية التجارية التي تحمل بخار الماء، ويتراوح متوسط سقوط المطر في السنة ما بين ١٤٠ إلى ٢٠٠ سنتي، وتسقط الأمطار الكثيفة في شبه الجزيرة الجنوبية وفي الهضاب والمرتفعات الشمالية، ودرجات الحرارة عموماً مرتفعة في المنخفضات، إذ تتراوح ما بين ١٥-٢٥ في الشتاء و٢٥-٣٥ في الصيف، وتهب عليها العواصف الهوجاء فيما بين يونيو وأكتوبر.

وجمهورية هايتي تتكون من تسع وحدات إدارية وتبلغ مساحة البلاد كلها ٢٧٧٥٠ كيلومتراً مربعاً، منها ٢٠٪ أراضٍ زراعية، و١٨٪ مراعي، و ٥٪ غابات، وأراضي المحاصيل الدائمة ١٣٪. وأما مساحة الأراضي المروية فهي نحو ٧٥٠ كيلومتراً مربعاً، بموجب تقديرات عام ١٩٩٣م.

الاقتصاد والحرف:

يعيش ثلاثة أرباع الشعب الهايتي تحت مستوى خط الفقر حسب الاصطلاح الدولي، ويعمل ٧٠٪ منهم في الريف، إلا أن الإنتاج الزراعي متخلف، ولا يسد احتياج المواطنين بسبب تخلف أساليب الزراعة وبدائيتها، مما يؤثر في الاستفادة من الإمكانيات المتوفرة في الأراضي والمياه، ويعتبر البن هو المحصول الرئيسي، يليه قصب السكر والأرز والذرة والبطاطا الحلوة والمانجو والموز، وأما الرعي فيقوم على تربية الأغنام والمواشي والخيول.

وتوجد معادن البوكسيت والنحاس والذهب في هايتي، ولكن لم يتم استغلالها حتى الآن، وتقوم الصناعة على تكرير

السكر ومطاحن الدقيق والغزل والنسيج.

وقد بلغ النمو الصناعي نحو ٠,٦٪ في عام ١٩٩٧م، ويتم تصدير البن وغيره من المحاصيل الزراعية والصناعات الخفيفة، وقد بلغت قيمتها نحو ١١٠ ملايين دولار في عام ١٩٩٧، بينما بلغت قيمة المستوردات نحو ٤٨٦ مليون دولار في عام ١٩٩٧، وقد بلغ الدخل الوطني ٨,٩ بليون دولار في عام ١٩٩٨، وكان دخل الفرد الواحد ١٣٠٠ دولار، وبلغت نسبة التضخم نحو ٨٪ في عام ١٩٩٨، وقدرت ديون هايتي الخارجية بـ ٧٣٠ مليون دولار في عام ١٩٩٧، كما قدرت المساعدات الخارجية بنحو ٧٣٠ مليون دولار في عام ١٩٩٥.

والعملة الوطنية هي غورده GOURDE، ويساوي الدولار الواحد ٢٠ غورده عندما وصلناها.

السكان:

بلغ عدد سكان هايتي ٢٦٤،٨٨٤،٦ نسمة حسب تقديرات يولييه عام ١٩٩٩م، ويتألف السكان من ٩٥٪ من السود، و ٥٪ من المولاتو أي المختلطين والبيض، ونسبة النمو السكاني ١,٥٣٪، ويتكلم السكان لغة كريول CREOLE وهي لغة تكونت من تداخل لغات الأفارقة المجلوبين إليها من مختلف القبائل الإفريقية مع مفردات أوروبية، كما تستخدم إلى جانب ذلك اللغة الفرنسية، ويدين ٨٠٪ من الهايتيين بالكاثوليكية، و ١٦٪ بالبروتستانتية، و ٣٪ بمعتقدات وثنية، و ١٪ لا دين لهم.



شارع في بورت أوبرنس عاصمة هايتي

التاريخ:

كانت قبائل تايانو TAINO التي تنتمي إلى شعب أراواك ARAWAK وهي هندية أمريكية قد استوطنت جزيرة هيسبانيولا قبل الميلاد، وكانت على درجة كبيرة من الحضارة والثقافة والعادات الاجتماعية، كما دلت عليها أثارهم، وعندما وصلها كريستوفر كولومبس كانت لهم خمس ممالك في جزيرة هيسبانيولا، وقدر عددهم بنحو نصف مليون نسمة حينذاك. وقد وصل كريستوفر كولومبوس إلى مول سانت نيقولاس MOLEST.NICHOLAS في هايتي في السادس من ديسمبر ١٤٩٢، وبعد أن اكتشف الذهب فيها عاد وأقام مستوطنة في سانتا ماريا SANTA MARIA في ٢٤ ديسمبر ١٤٩٢م، وفرض على الهنود دفع الجزية بالذهب، وقد أدى ذلك إلى استمرار تدفق

الإسبان إليها ، واستخدم كولومبس نفسه نظام السخرة المعروف باسم إنكوميندا ENCOMIENDA على الهنود الأمريكيين في عام ١٤٩٩م ، ثم وصل نيقولاس دي أوفاندو NICHOLAS DE OVANDO أول حاكم ملكي إسباني في عام ١٥٠٢ ، وقد أدت الممارسات الوحشية التي مارسها الإسبان ضد الوطنيين الأصلاء وما نشره بينهم من أمراض وبائية مثل الجدري ، أن انخفض عدد الهنود الأمريكيين إلى ٦٠ ألف نسمة في عام ١٥٠٧ ، ثم تقلص عددهم إلى ٦٠٠ نسمة في عام ١٥٣١ ، واليوم لا يوجد أي واحد منهم ما عدا الآثار التي تحكي مجدهم التليد ، وفي مقابل تناقص وتلاشي الهنود الحمر الذين سخرهم الأسبان لأعمالهم راجت تجارة العبيد واستجلابهم من إفريقية إلى جزيرة هيسبانيولا .

وفي عام ١٦٥٩ أقام الفرنسيون أول مستوطنة لهم في تورتوغا TORTUGA بتفويض من الملك لويس الرابع عشر KING LOUIS XIV ، ثم تأسست الشركة الفرنسية الهندية الغربية في عام ١٦٦٤ ، ورغم مقاومة الإسبان لهم تمكن الفرنسيون من إنشاء بلدة كاب فرانس CAP FRANCAIS التي تعرف حالياً باسم كاب هايتي CAP HAITIEN ، وذلك في عام ١٦٧٠ ، ثم اضطرت إسبانيا إلى التنازل عن هذا الجزء الغربي لفرنسا ، بموجب معاهدة ريسويك RYSWICK في عام ١٦٩٧ .

وخلال الحكم الفرنسي ازدهر الاقتصاد فيها ، وقد عرفت بكرة الأنتيل LA PERLE DES ، إذ كانت هايتي تصدر ٦٠٪ من إنتاج البن العالمي ، وتصدر إلى فرنسا وبريطانيا ٤٠٪ من

السكر، وقد قامت بدور مهم في الاقتصاد الفرنسي إذ كانت تشكل ثلثي المصالح التجارية الفرنسية، و ٤٠٪ من تجارتها الأجنبية حينذاك، وقد تأثرت هذا الوضع الاقتصادي من اعتماد الفرنسيين على استغلال العبيد الإفريقيين، والاعتماد عليهم في الزراعة والإنتاج، وبلغ عدد العبيد ٤٥٠٠٠٠ نسمة، والمولاتو (المختلطين) ٢٥٠٠٠ نسمة، والفرنسيين ٣٠٠٠٠ نسمة في نهاية القرن الثامن عشر الميلادي، وكان العبيد الإفريقيون تعود أصولهم في الأغلب إلى شعوب غرب ووسط إفريقية.

وقد أدى ظلم الأوروبيين وتعسفهم في تسخيرهم لهؤلاء العبيد بدون مراعاة لأبسط حقوقهم الإنسانية إلى اندلاع الثورة ضد الاستبداد الفرنسي التي بدأها فرانسوا ماساندا في عام ١٧٥١م، وقتله الفرنسيون بالنار في عام ١٧٥٨م، بيد أن ذلك تسبب في استياء عم المستعمرة، وبدلاً من مطالبتهم السابقة بالمساواة أخذ المواطنون السود ينافسون البيض على السلطة، وبخاصة بعد أن هبت عليهم رياح الثورة الفرنسية التي اشتعلت في فرنسا نفسها عام ١٧٨٩.

غير أن المجلس الوطني الفرنسي لم يحقق مطالبهم، فاشتدت الثورة عنفاً، وبخاصة بعد أن شكل الثوار فرقاً مسلحة بقيادة أندري ريغود ANDRE RIGAUD والكسندر بيتون ALEXANDRE PETION، ثم تمكن دومنيك توسان DOMINIQUE TOUSSAINT من تحرير العبيد ودحر القوات الفرنسية والبريطانية والإسبانية التي كانت تقف ضد استقلال

فأبقي من الضمير إلى هابتي

هايتي، ومع حلول عام ١٨٠٠ صار حاكماً عاماً على جزيرة هسبنيولا كلها.

وفي ٢٦ يولييه ١٨٠١ اعتمد توسان دستوراً حرر بموجبه العبيد، ونصب نفسه حاكماً عاماً على هايتي لمدى الحياة، وذلك بدون موافقة فرنسا، ولكن نابليون بونابرت NAPOLEON BONAPARTE طلب مغادرة توسان، وأرسل شقيق زوجته الجنرال شارلس ليكلرك CHARLES LECLERC على رأس قوة حربية لاحتلال هايتي، وعندما وصل الجنرال ليكليرك إلى كاب فرانس CAP FRANCAIS في الثاني من فبراير ١٨٠٢، لم يسمح له قائد المدينة هنري كريستوف HENRI CHRISTOPHE بالانزول فأمطر المدينة بالنيران، مما دفع المواطنين للاشتراك في الدفاع عنها وعن الثورة ضد الاستبداد الفرنسي، وحقق الثوار انتصاراً كاسحاً ضد الفرنسيين في معركة فيرتير VERTIERES في ١٨ نوفمبر ١٨٠٣.

فخرج الفرنسيون منها، وأعلن استقلال هايتي في الأول من يناير ١٨٠٤ م، وأصبحت ثاني دولة مستقلة بعد الولايات المتحدة الأمريكية في العالم الجديد، كما انه غير اسمها إلى هايتي HAITI أي الأراضي العالية.

ثم انقسمت هايتي إلى دولتين عندما أعلن هنري كريستوف نفسه ملكاً على الجزء الشمالي في عام ١٨١١، وانحصرت حكومة الرئيس الكسندر بيتون في المقاطعات

الجنوبية والغربية، ولكن بموت الملك هنري عام ١٨٢٠ عاد الجزء الشمالي إلى حكم الرئيس جين فيريوير JEAN-PIERRE-BOYER الذي نصب نفسه رئيساً لمدى الحياة في عام ١٨١٨، ثم ضم الرئيس بوير إلى حكمه الجزء الإسباني، وأصبحت الجزيرة كلها تحت سيادته، ولكن استعاد الجزء الإسباني استقلاله بعد أن أطاح الثوار بالرئيس بوير في عام ١٨٤٣، وعرف بجمهورية دومنيكان في ١٨٨٤

ثم احتلت القوات الأمريكية الجزيرة في عام ١٩١٦، فقام الأهالي بثورة ضد المصالح الأمريكية، مما أدى إلى انسحاب القوات الأمريكية بموجب الاتفاقية التي وقعت بين الطرفين في أغسطس ١٩٣٣، وقد تعرضت هايتي لاضطرابات داخلية عديدة، كما فرضت الولايات المتحدة الأمريكية عليها حظراً اقتصادياً منذ عام ١٩٩١ إلى أن تشكلت الحكومة الحالية برئاسة رينيه غارسيا برفال في فبراير ١٩٩٦.

حكومة هايتي:

تقوم على النظام الجمهوري الدستوري، بموجب الدستور الذي تم اعتماده في مارس ١٩٨٧، وقد جرى تعديله عدة مرات، وآخرها في أكتوبر ١٩٩١، وتدعي الحكومة أنها تراقب الدستور، وقد عادت إلى الحكم الدستوري في أكتوبر ١٩٩٤، وبالإضافة إلى الهيئة القضائية المستقلة تتكون حكومة هايتي من جهازين هما:

١- الجهاز التشريعي، ويمثله المجلس الوطني، ويتكون من مجلس الشيوخ وعدد أعضائه ٢٧ عضواً، ومجلس النواب وعددهم فيه ٨٣ عضواً، ويتم انتخابهم لمدة ٦ و ٤ و ٢ سنة في فترات مختلفة، حسب انتهاء مدة العضوية المرتبطة بالمدة.

٢- الجهاز التنفيذي، يرأسه رئيس الجمهورية، وهو الرئيس رينيه غارسيا بيرفال RENE GARCIA PREVAL الذي انتخب في ٧ فبراير ١٩٩٦، ثم رئيس الحكومة مع ١٨ وزيراً وأربعة أمناء عامين.

الإسلام والمسلمون:

تؤكد الوثائق التاريخية على وصول المسلمين الأندلسيين مع رحلات الإسبان التي بدأت منذ أن وصل كريستوفر كولومبوس إلى جزيرة هيسبانيولا لأول مرة في السادس من ديسمبر ١٤٩٢، وقد أطلق الإسبان على المسلمين في الأندلس وشمال إفريقية اسم مور MOOR ، وهو مشتق من الكلمة اللاتينية ماوري MAURI كما استعملت على المسلمين الأفارقة لأنها تعني باليونانية أسود، ولكن هذه التسمية اكتسبت صفة الشمول مع مرور الزمن فأصبحت تطلق على المسلمين الأندلسيين، وبخاصة على الذين شردهم الإسبان أو حملوهم إلى الأراضي التي اكتشفوها في النصف الغربي من الكرة الأرضية، وعندما قاوم هؤلاء المسلمون مظالم الإسبان في المواطن الجديدة، وفرّ بعضهم من الاستبداد عرف هؤلاء الفارون بمصطلح جديد هو مارون MAROON أو

بالفرنسية MARRONS ، يعني العبيد الفارين من المزارع، وأصبح هذا المصطلح يطلق على كل العبيد الهاربين من المور المسلمين أو الملاتو، وهم المولدون أبناء العبيد أو الإماء المتزوجين من الأوروبيين، وقد اعتبروهم أحراراً لانتسابهم إلى السادة الأحرار من طرف الأب أو الأم، وقد ظهر أن معظم زعماء المارون هم من أصول إسلامية، ومنهم الزعيم الماروني المشهور فرانسو ماكندال FRANCOIS MACANDAL ، وأصله من مالي الذي قاد ثورة التحرير الأولى فيما بين ١٧٥١-١٧٥٧ ، وقد قتله الفرنسيون بالحرق في مدينة كاب فرانس عام ١٧٥٨.

ويبدو أن الأغلبية الإفريقية المسيحية بالإضافة إلى عمليات التصير المكثفة أدت إلى ذوبان المسلمين القدماء والمجلوبين منهم من السنغال ومالي وغينيا وغيرها من بلدان غرب ووسط إفريقيا المسلمة، ولكن الدراسات العلمية بدأت تكشف عن جذور هؤلاء الأفارقة، وربما أدت إلى عودة الأحفاد إلى الإسلام دين أجدادهم.

كما أن الهجرة العربية التي بدأت من بلاد الشام في أوائل القرن التاسع عشر الميلادي إلى الأمريكيتين وصلت إلى هايتي، وبخاصة أن فرنسا التي كانت تحتلها كانت على صلة وثيقة ببلاد الشام إبان الحكم العثماني، وكانت لها الوصاية والانتداب بعد الحرب العالمية الأولى، ساعدت على هجرة العرب منها، ولكن أكثرهم كانوا من المسيحيين، ولا تزال أعدادهم تقدر بنحو بضعة آلاف، أما المسلمون فهم قليل فيهم، ويقال إن عددهم لا يزيد عن عشرين أسرة، وإن أحمد أبو الريش من العزيرة بالقدس في

فالي تي من السفر إلى هايتي

فلسطين هو أول عربي مسلم وصل إليها في عام ١٩٢٠ ، وقد توفى
في عام ١٩٦٠ ، ولا يعرف عدد المسلمين من جميع الجنسيات
بالضبط ، وإنما يقال إن عددهم قد يصل إلى ثلاثة آلاف مسلم ،
ويتمركزون في مدينتي بورت أو برنس وكاب هايتي .

وسوف نتكلم على الإسلام والمسلمين من خلال اليوميات
عندما نذكر مشاهداتنا وما يتعلق بها .

يوم الأربعاء ١٦/١٢/١٤٢٠هـ - ٢٢/٣/٢٠٠٠م

من هافانا إلى ميامي:

لا يوجد طيران مباشر من هافانا إلى ميامي بسبب الحصار الاقتصادي الذي تفرضه الولايات المتحدة الأمريكية على كوبا، ولذلك يحتاج الوصول من إحدى المدينتين إلى الأخرى إلى النزول في مطار وسيط، وقد حجزنا من بلادنا خط السير من هافانا إلى مطار (كانكان) في المكسيك من دون أن ندخل إلى المكسيك، لأنه ليست لدينا سمة دخول إلى المكسيك مع سهولة ذلك بالنسبة لنا إذا ما طلبنا سمة الدخول من سفارة المكسيك في الرياض، ولكننا لم نفعل، ومع ذلك فكرنا أمس في أن نحصل على سمة دخول إلى المكسيك من باب الاحتياط، ولنرى مدينة (كانكان) التي لم أزرها من قبل ولو ليوم واحد، فذهب الرفاق إلى سفارة المكسيك في هافانا، فاعتذرت بأنه كان يجب علينا أن نأخذها من سفارتهم في الرياض، وأن هذه هي تعليمات حكومتهم في الحالات المماثلة.

وهذا له مماثل عندنا، فالسفارات السعودية لا تعطي سمات الدخول إلا من البلد الذي يقيم فيه طالب السمة، وربما كانوا مثلنا، مع أننا بلادنا مقصودة من ملايين الناس يريدون الدخول إليها والعمل فيها، وأما المكسيك فإنها ليست كذلك كما هو معروف.

كنا نزل في هافانا في فندق من ذوات النجوم الأربع حسب

تصنيف الحكومة الكويتية، اسمه فندق فكتوريا.

وقد نزلنا من غرفنا قبيل الخامسة فجراً، فأعطيناهم أجرة الفندق وودعناهم شاكرين لهم حسن معاملتهم، بل اللطف والمجاملة التي غمرونا بها، وركبنا سيارة أجرة كان الفندق قد طلبها لنا البارحة؛ قاصدين المطار، وكان ذلك في الخامسة فجراً، ولا يزال الظلام دامساً، وكانت الشوارع خالية من السيارات والمارة إلا عندما اقتربنا من المطار.

ويبعد المطار ١٨ كيلو متراً من المدينة، وجدنا صفّاً طويلاً أمام مكتب الترحيل إلى مطار (كانكان) في المكسيك، وتولى ذلك رفيقي في الرحلة الأستاذ رحمة الله بن عناية الله، حيث وقف مدة طويلة قبل أن يصل إلى مكتب الترحيل، أما أنا فإنني جلست - كالعادة - على كرسي مريح.

وكان سائق سيارة الأجرة قد طلب الأجرة مضاعفة، وهي ٢٥ دولاراً، وقال: هكذا تعليمات الحكومة أن الأجرة في الليل تؤخذ ٢٥ دولاراً، وينبغي أن نتذكر هنا أن التعامل مع الأجنبي في كوبا هو بالدولار في كل شيء، حتى في الطعام وسيارات الأجرة، ولا يجوز أن يبيع عليه أحد، أو يتقاضى منه شيئاً بغير الدولار.

وقد تأملت قاعة الترحيل وهي واسعة، فإذا بها مقامة فوق أعمدة من الحديد تعترض فوقها أنابيب ضخمة، والأنابيب الضخمة من الحديد أيضاً، وفوقها سقف مسنم، وكلها نظيفة، ذات طلاء جديد. وهناك مقاعد جيدة لا بأس بعددها في قاعة الترحيل.

والركاب في الطائرات الأخرى كثيرة كثرة عجت منها،
لأن كوبا شيوعية تقل فيها الاستثمارات الخارجية، ولكن تبين أن
ذلك لكثرة السياح الذين عملت على جلبهم لوجود تسهيلات
عديدة كالفنادق، وأذكر أننا عندما وصلنا إليها لأول مرة قصدنا
فندق (ناسونال) الكبير وهو من ذوات النجوم الخمس، وأجرته
١٢٠ دولاراً اعتذر عن عدم وجود غرفتين خاليتين فيه، وذكر أنه
كله مليء بالنزلاء، وساعدنا موظف في مكتب الاستقبال بأن
حجز لنا غرفتين في فندق فيكتوريا، وهو من ذوات النجوم
الأربع، أجرة الغرفة فيه ٨٠ دولاراً.

وكانت إجراءات الخروج سهلة، مع أن البلاد شيوعية
تكون فيه الإجراءات صعبة في العادة، وكانت ضابطة الجوازات
امرأة جميلة ابتسمت وهي تناولنا الجوازات، وهذا نادر لا يوجد في
موظفي الجوازات في مطارات الدول الشيوعية التي عرفناها من
قبل

ويمكن للقارئ الكريم الذي يريد أن يطلع على أحوال
البلدان الشيوعية في إجراءات المغادرة والسفر أن يقرأ ما كتبت
عن ذلك في كتب عديدة لا أريد أن أذكر أسماءها هنا، لئلا أثقل
عليه في ذلك، ولكنه يستطيع إذا طلبها أن يجد أسماءها في
الكتب المخطوطة والمطبوعة التي ألفتها عن تلك البلاد.

ثم صعدنا إلى الطائرة التي كتبوا عليها (أيروكاريب)، أي
طيران الكاريبي، وكنا حجزنا من مكتب الشركة

المكسيكية للطيران (مكسيكانا).

وجدنا الطائرة من طراز (دسي ٩)، وهو طراز قديم كنا أبطلنا أستعماله في بلادنا قبل ٢٠ سنة، وقد هجرته معظم الشركات الأجنبية لكونه صار قديماً، وسقطت منه عدة طائرات. ولم تكن فيها درجة أولى، بل جميع مقاعدها من الدرجة السياحية، ولذلك ختموا تذاكرنا التي هي على الدرجة الأولى حتى نستعيد الفرق من السعودية عند العودة إلى بلادنا بإذن الله.

وأكثر الركاب هم من ذوي الطابع المكسيكي المعروف عندهم بالما سيتوسز بمعنى المختلطين ما بين الهنود الأمريكيين الذين هم السكان الأصلاء في البلاد قبل وصول الأوروبيين وبين الأوروبيين الذين عمادهم الإسبان، ومعهم أخلاط من جنوب أوروبا، وبخاصة ممن يتكلمون اللغات اللاتينية، وهذا العنصر الذي ذكرته هو أبيض بياض العرب، ولكن تقاسيم وجوه أهله غير التقاسيم العربية، وذلك بسبب اختلاطه بالعنصر الهندي الأمريكي الذي لم يكن وجيهاً حسب مقاييس الواجهة عندنا.

أقلعت الطائرة في السابعة والربع متأخرة ربع ساعة عن الموعد المحدد لإقلاعها في الأصل، وذلك لا يعد تأخيراً يستوجب الاعتذار عند شركات الطيران العالمية.

لم نجد مقاعد خالية إلا في مؤخرة الطائرة حيث محركاها، فكانت زمجرتها عند النهوض تصم الأذان، وبخاصة أنها غير مكيفة ضد الصوت، والدليل على ذلك أن داخلها كان

يعوم ببخار من سحب منخفض دخل إليها ، إن لم يكن ذلك بخاراً متكاثفاً من داخلها لا أدري، ولكنه يشبه الدخان الخفيف، فيها مضيقتان من المكسيكيات ذوات الأصل الأبيض المتغير. وليس معهن مضيف، وقارنت بينهن وما في ذهني عن المكسيكيين وبين الكوبيين الذين تغادر بلادهم الآن، فوجدت أن الكوبيين أجمل طلعات، وأحسن تقاسيم من المكسيكيين، فضلاً عن عدم وجود الأقزام فيهم الذين يوجدون في المكسيك. . كما أن قصر الرقبة الظاهر في المكسيك، وانتفاخ الوجه كذلك ليس ذلك كله موجوداً في الكوبيين، بل إن الكوبيات يتمتعن بجمال لا يستطيع المرء أن يحدد سببه، ولكنه يحس به.

هذا وقد استوت الطائرة في جو شامس صاح، فهذا زئير المحركين قليلاً.

وصارت تطير فوق حقول واسعة من الأرض الكوبية الخصبة التي لا يرى المرء فيها أرضاً بوراً. بل كلها معمور بالحقول الزراعية الواسعة التي تملكها كلها الدولة لكونها دولة شيوعية.

ثم ساحلت الطائرة بأن صارت تطير فوق ساحل كوبا، ثم لججت بسرعة فوق مياه خليج المكسيك.

ومن الجيد في هذه الطائرة أن التدخين فيها ممنوع مثل الطائرات الكوبية التي ربما كانت أخذت ذلك من معلمها السابق الاتحاد السوفييتي، مع العلم بأن القياس ألا تفعل كوبا ذلك لأنها من الدول الرئيسية المنتجة للطباقي الذي اشتهر منه (السيجار)

الهافاني الغالي عند من يرغبون فيه من غير ذوي البصيرة.

وقد أسرع إحدى المضيفات بعربة الضيافة تدفعها بيديها وفوقها كومة من الفطائر من غير غطاء أو حتى مكان وضعت فيه، ولكن معها ملقط تلتقط الواحدة منها به، وتعطيها الراكب. وقدموا مع الفطيرة كأساً من الشراب وفنجاناً من القهوة السوداء الغليظة.

وليس معهم شاي، لأن القهوة تنتج في كوبا بخلاف الشاي الذي يستورد من الخارج.

على أرض المكسيك:

بعد ٤٠ دقيقة من الطيران بدا الساحل المكسيكي ذا أرض أقل زراعة من أرض كوبا، لأن جزءاً من المنطقة كان غابات ملتفة من أشجار وحشية غير مثمرة ولا سامقة في الجو، ومع ذلك توجد عمارة ومنازل في الريف غير شاملة.

مطار كانكان:

هبطت الطائرة في مطار (كانكان) في الساعة الثامنة ضبطاً بتوقيت كوبا وهي السابعة بتوقيت هذا الجزء من شرق المكسيك، وقد استغرق الطيران ٤٥ دقيقة، فكأننا بذلك كسبنا ربع ساعة مع مدة الطيران في يومنا هذا، ولكننا لن نسر بهذا الكسب، لأننا سوف نخسره بعد قليل عندما نصل إلى ميامي التي يتقدم توقيتها على ذلك ساعة واحدة، فهو مساو لتوقيت كوبا.

ورأيت الأعشاب التي بجوار المدرج كأعشاب المراعي
الجيدة، فهي دون أرض كوبا في الخضرة، ومع ذلك لا يصح أن
توصف بأنها قليلة العشب.

وساحات الوقوف في المطار ليست واسعة.

دخلنا المطار خلال دهليز متحرك أفضى بنا الطابق فوق
الأرضي إلى درج نزلنا منه فوجدنا أنفسنا عند مكاتب الجوازات،
فملأنا بطاقة عندهم لم يعطونا اياها في الطائرة، وليست معنا سمة
دخول، ولا كبير رغبة في تمضية يوم في (كانكان)، إلا أننا ملأنا
البطاقات وقلنا: إن يوماً أو نحوه مفيد لنا.

لذلك عندما سألنا ضابط الجوازات عن السمة قلنا: إننا
نحمل سمات دخول إلى الولايات المتحدة الأمريكية، وقد حجزنا
مؤكداً بعد ساعتين، ولكن إذا أمكننا الحصول على إقامة يوم
هنا فإننا نحب ذلك.

أخذنا الضابط إلى مكتب رئيسهم الذي قال: إن جوازك
- وأشار إليّ - هو دبلوماسي، يمكن أن نعطيه يوماً، وأما زميلك
فلا، لأن جوازه معتاد. فقلت له: إننا معاً ولن نفترق.

كنا في مقعد جيد في مكتب رئيسهم، ورأيت الضباط
يدخلون ويخرجون وكلهم يدخن، حتى إن ضابطة جميلة تدخن
أيضاً.

وجدت عهداً بعيداً بالمكسيكيين الذين يعيشون في

المكسيك، فرأيت رجالهم أقل وجأهة من الكويتيين ، ونساءهم أقل جمالاً من الكويتيات.

وأرجو ألا يسارع أحد القراء الكرام ممن لا يحبون الحديث عن النساء تورعاً بأنني أتحدث عن النساء في البيوت، فضلاً عن أن يكن من المحصنات الغافلات، وإنما أتحدث عما رأيته في الشوارع كما يتحدث المرء عادة في الشوارع عن رجال وبهائم، بل عن زهور أو قمائم.

والسبب في كون المكسيكيين أقل وجأهة من الكويتيين - في ما نراه نحن وأمثالنا - هو أنهم مختلطون بالهنود الأمريكيين، وهم السكان الأصلاء الموجودون في هذه البلاد قبل وصول المكتشفين الأوروبيين، لذلك أكتسبوا بعض خصائصهم، وهي بعيدة عن الذوق العربي، أو لنقل: عما اعتاد العربي على نظره واعتباره حسناً جميلاً أو غير ذلك.

أبطؤوا علينا ونحن جالسون، فسألنا الضابط عن ذلك فقال وهو يناولني جوازي: إن جوازك سيبقى معك، أما جواز زميلك فإننا سنعطيه مندوب شركة الطيران التي ستسافران عليها بعد ساعتين حتى يكون مسؤولاً عن ذلك.

وعرفنا أنهم لا يريدون أن يعطونا سمة دخول لمدة يوم واحد، وأردنا أن نقول لهم: إننا جئنا هنا على أننا من الركاب العابرين، ولكن سكتنا إلى أن جاء مندوب الشركة يحمل أمتعتنا، فاطمأننا بذلك .

وقد أعطونا رخصة مرور مكتوباً عليها ذلك، ولم يذكروا فيها الوقت، ولكن تبين أنها لمجرد الدخول من المطار الذي نزلنا فيه، الذي هو مطار صغير، إلى مطار مجاور، بمعنى أبنية مطار مجاور، وهي كثيرة مجهزة بكل ما يكون في المطارات الجيدة.

وهكذا خرجنا من مكتب الضابط الكبير وهو يسحب إحدى حقائبنا، ونحن نحمل البقية حتى وقفنا عند مكاتب الترحيل المعتادة، فوزن أمتعتنا وقطع التذاكر إلى ميامي، وكل ذلك ومندوب الشركة معنا مما جعلنا نعتقد أنهم قد ألزموه بأن يبقى معنا حتى يطمئن على أننا قد رحلنا بالفعل.

وقد جعل موظف الترحيل يدقق في جوازاتنا ويفحص سمة الدخول الأمريكية الموجودة فيها مع أنه مجرد موظف ترحيل وليس ضابط جوازات، إلا إذا كان بالفعل من ضباط الجوازات جعلوه يعمل هنا للتدقيق في سمات الدخول إلى أمريكا، ومعرفة ما إذا كانت صحيحة أو مزيفة، وذلك لكون التسلل إلى أمريكا من هذه المنطقة هو كثير جداً، لأنها منطقة فقيرة ليست فيها فرص عمل، ومن دخل منها إلى الولايات المتحدة وجد جماعة من قومه أو من أقاربه فساعدوه على العيش فيها حتى يحسن وضعه، إضافة إلى شكهم في العرب بصفة خاصة، وكونهم فيما يعتقدون فيهم إرهابيون كثير.

لم يتركنا مندوب شركة الطيران إلا عند بوابة الدخول إلى الطائرة، وهذا إجراء غريب، إذ أننا في الأصل ركاب عابرون،

وكان بالإمكان عدم تركنا ندخل بعد بوابات الجوازات، بل
نبقى في منطقة العابرين، ثم يأتي مندوب الشركة بأمتعتنا
ويخبرنا بأنه قد تأكد منها، وأنها ضمت إلى الأمتعة التي تسافر
على الرحلة نفسها.

على أن القوم عاملونا معاملة طيبة.

من كانكان إلى ميامي:

جلسنا مع ركاب الطائرة عند البوابة حتى نادوا على ركاب
المقاعد الأخيرة في الطائرة، ثم التى تليها، ولم يأذنوا لركاب
الدرجة الأولى إلا بعد أن دخل جميع ركاب السياحية، ورأيت في
ركاب السياحية قبل أن يدخلوا إلى الطائرة عجباً، وهو أن رجلاً
وامرأة من الركاب كانا معاً، وكان الرجل ملتجياً، ولكنه
وضع في أذنيه قرطين من الذهب كما تفعل النساء، وأما المرأة
فإنه ليس في أذنيها شيء من الحلي، كما أنه ليس على رأسها
شعر كشعر النساء، وإنما هو كشعر الرجال.

ركبنا في الدرجة الأولى من الطائرة التي تتبع شركة
(أمريكا إيرلاين) كبرى شركات الطيران التي تعمل في هذه
المنطقة الجنوبية من الولايات المتحدة، وما كان عنها جنوباً، وهي
من طراز بوينغ ٧٢٧ ذلك الطراز العتيق الذي تركته معظم
شركات الطيران في العالم، وتتألف الدرجة الأولى من ثلاثة
صفوف في كل صف أربعة مقاعد .

وكانت الأولى مليئة بالركاب.

ومن اللافت للنظر أن المضيفين رجلاً، وليس معهما أية مضيضة، ولكن الشي الأكثر عجباً أن قائد الطائرة هي امرأة ذات شعر أصفر، وأن مساعدتها هي امرأة أيضاً، وهي كذلك ذات شعر أصفر، ولكنها أصغر سناً من الطيارة - المرأة القائدة .

غادرت الطائرة مطار (كانكان) في العاشرة إلا ربع بتوقيت (كانكان) المتأخر ساعة واحدة عن توقيت كوبا، قاصدة ميامي.

والسبب الذي حدا بنا إلى المجيء إلى مطار (كانكان) المكسيكي أنه لا يوجد طيران مباشر ما بين كوبا والولايات المتحدة، مع أن ميامي قريبة جداً من هافانا، وأنه تعيش في ميامي جماعات كوبية كثيرة يصل عددها إلى مايقرب من المليون.

وذلك مثلما أنه لا يوجد طيران ما بين كوبا وبين (هايتي) التي سنذهب إليها بعد ميامي بإذن الله، مع أنهما متجاورتان، حتى إن من يكون في جنوب كوبا يرى نيران هايتي في الليل إذا كان في مكان مرتفع.

هذا وقد أحضروا الضيافة لبعضهم فيها خنزير، فطلبت: غيره، فأحضروا (كورن فلاك) مع اللبن ومعها صحن من الفاكهة اناناس وكيوي وقريب فروت وموز كبير أصفر.

عندما وصلنا إلى الأرض الأمريكية رأينا الطرق السريعة التي تتميز بها، لا سيما إذا كان الشخص قادماً من بلدان متخلفة فإنه سوف يعجب بها، والعمارة المنظمة ظاهرة، إلا أن الأرض أقل خصباً وخضرة من أرض كوبا.

فأبقيتني من السفر إلى هايتي

وعند الاقتراب من مدينة ميامي استقامت زوايا الحقول، فأصحبت ذات تخطيط جيد، وليست مكومة تكويمياً، وزاد طول الطرق والشوارع، وكل ذلك في نظر العين بالنسبة إلى الاقتراب منها بعد البعد.

وظهرت البيوت ذات سقوف حمر جميلة الطلاء، وكأنما طليت لتوها، إلا أنني رأيت حياً شعبياً سقوفه من الصفيح غير اللامع، ولكن ليس صدئاً.

وكثر الجسور للطرق المعترضة فوق الطرق المستقيمة، مما هو أكثر ما يرى في الولايات المتحدة الأمريكية .

وهبطت الطائرة في مطار ميامي في الحادية عشرة قبل منتصف النهار، وهي الثانية عشرة بوقت كوبا، والثانية عشرة أيضاً بتوقيت (ميامي) .

وجدت المطار كما عهدته من قبل واسعاً وطويلاً ممتداً، كثير المرافق والبوابات والمحلات التجارية، بل والمقاهي والمقاصف، فضلاً عن مكاتب شركات الطيران العالمية، بل إن الحديث عن ذلك كله مثل الحديث عن شيء معروف للجميع، وهو مثل قول أبي نواس في فتاة جميلة:

إني وذكري حُسناً من محاسنها مثل الذي قال: ما أحلاك يا عسل
ويصح أن يقال فيه دون مبالاة: إنه يمثل قرية فاخرة تكاد تكون قائمة بنفسها في الأشياء الضرورية.

وكانوا أعلنوا عند الهبوط أن درجة الحرارة في ميامي هي

ولا ينافس منشآت المطار في الكثرة إلا الطائرات التي على دهاليز المطار، أو واقفة في أماكن خاصة من باحاته، حتى يخيل إليك أنها في استعراض كبير.

وقد استمر سيرنا في دهاليز متصلة من المطار تجري فيها سيور كهربائية بالذين لا يستطيعون السير الطويل بدون سيور متحركة، إلى أن وصلنا إلى درج كهربائي نزلنا منه إلى حيث مكاتب الجوازات، فوجدنا صفوفاً طويلة من المسافرين القادمين كانوا جاؤوا قبلنا، ثم جاءت صفوف أخرى بعدنا من طائرات أخرى.

هذا مع العلم بأن معظم هذا الركن الواسع من المطار هو لطائرات شركة (أميريكان إيرلاين) التي قدمنا مع إحدى طائراتها.

وكان الضابط في المكتب الذي مررنا به أسود غير حالك السواد سألني إلى أين ذاهب؟ فقلت: إلى هايتي، فهم أن سمة الدخول التي منحتني إياها السفارة الأمريكية لمدة سنتين لسفريات متعددة داخلها إنما يستعملها من يترددون إلى أمريكا وما حولها، وهذا صحيح في الغالب.

ولم نقف عند ضباط الجمرك، وبعد ذلك خرجنا من منطقة القدوم إلى القاعات الداخلية للمطار، وفيها المتاجر والمطاعم العاجلة والمشارب وبعض مكاتب شركات الطيران، وذلك للسؤال

عن السفر إلى هايتي، لأننا لن ندخل ميامي في هذه المرة، وإنما سنمر بها بعد الرجوع من هايتي بإذن الله .

وقد حجزنا بالفعل إلى (بورت أوبرنس) عاصمة هايتي على طائرة تسافر الثالثة إلا الربع ظهراً، وقبل الموعد المحدد بوقت كاف حضرنا إلى مكتب الترحيل لشركة (أميركان إيرلاين) التي سنسافر معها، فوجدنا فيه موظفتين جميلتين من الشقراوات فجاملتنا ولاطفتا، ولكن كان بعد ذلك ما محاه كله، وهو أن إحدهما قالت: إن عليكما أن تذهبا مع هذا الموظف وهو عامل في الشركة إلى مكان ما، فسرنا خلفه وهو يحمل أمتعتنا، وهي حقيبتان كبيرتان وصندوق من الورق المقوى، حتى وقف عند فاحص كهربائي.

والمسؤولة عن الفحص امرأة كالعربية، ربما كانت من أمريكا الجنوبية قالت لي: افتح الحقيبة. قلت لها: ما المشكلة؟ قالت: فيها رائحة. قلت: أية رائحة؟ قالت: لا أدري. فقلت لها: هل تعلمين أنها لحامل جواز دبلوماسي؟

قالت: لا، ولكن لا علاقة لذلك به. وكانت تقول هذا الكلام بعد أن رأت ما في الحقيبة في الفاحص الكهربائي.

ولم أشأ أن أطيل الكلام معها خوشية من أن تفوتنا الطائرة، وقد قطعوا تذاكرنا وأنهوا كل شيء يتعلق بالترحيل.

كان ذلك الكلام بيني وبينها دون عصبية، بل كانت تتكلم كلاماً معتاداً، ففتحت الحقيبة ونظرت فيها ثم قالت:

أغلقها، شكراً، وأرجوا أن تسامحني على إزعاجك. ولم أجد تفسيراً لذلك إلا الخوف من قنبلة أو نحوها، لأن المخدرات لا تكون في الحقائب المغادرة من الولايات المتحدة الأمريكية، وإنما في القادمة إليها.

ولو كانت سألتني عن الرائحة التي تزعم أنها شمتها فيها لقلت لها: إنها رائحة الكليجا، لأن فيه (دارصيني) مخلوطاً بالسكر ومحمصاً بالنار كما هي العادة، ولكنها لم تأت بالأمر على طريقة السؤال، وإنما قالت: إنني أشم رائحة لا أدري ما هي في الحقيقة. ولا أدري أليدهم جهاز لشم الرائحة أم هي تعتمد على أنفها؟.

مغادرة ميامي:

سرنا مع الطريق الطويل داخل مبنى المطار نبحث عن البوابة التي ستغادر منها طائرتنا إلى هايتي، ودخلنا غرفة الدرجة الأولى لأن تذاكرنا على الدرجة الأولى، فوجدناها واسعة في داخلها غرف لمن يريدون الانفراد وعدم الاختلاط بالناس، وفيها مقاعد محجوزة بحواجز كالشباك الواسعة الشقوق، ولكن كان الطعام فيها قليلاً، فلم نجد فيها عصير فاكهة ولا شطائر (ساندويتشات)، ولكن فيها بسكويت وتفايح وشاي وقهوة، وهي بذلك لا يمكن أن تقارن بغرف الدرجة الأولى في البلدان الشرقية مثل ماليزيا وسنغافورة، ومثل غرفة الدرجة الأولى في مطار البحرين، أو حتى مطار دبي الذي هو دون مطار البحرين من هذه

الناحية، فتلك أفضل وأحسن وأسخى، وأما أستراليا فإنها لا نظير لها في هذا المجال، مع العلم بأن الركاب الذين يحق لهم دخول قاعات الأولى والتمتع بما فيها هم في الحقيقة ركاب درجة رجال الأعمال، لأنه ليست في الطائرات الأسترالية درجة أولى في الرحلات الداخلية. ولا يتفوق على هذه الغرفة الأمريكية في البخل وقلة الحياء من الركاب إلا قاعات الدرجة الأولى في الرياض وجدة، ولا فخر لنا في التفوق على أمريكا في هذا المجال.

والشيء الآخر غير المنتظر أننا طلبنا من موظفة في مكتب الاستقبال في هذه القاعة الكبيرة أن تتبهننا عندما يحين موعد الدخول إلى الطائرة، فقالت: إنها ليس لديها علم بالموعد، ولكن عليكم أن تنتظروا موعد الإقلاع المكتوب على بطاقة الصعود إلى الطائرة، وتذهبوا قبله بخمس دقائق.

ولم يختموا جوازاتنا، وإنما أخذت موظفة الترحيل البطاقات التي يبقى الأمريكيون قسائمها مع جواز الداخل إليها ليأخذوها عند المغادرة.

أقلعت الطائرة من مطار ميامي في الثالثة وخمس وثلاثين دقيقة ظهراً، وهي من طراز بوينغ ٧٢٧ وذلك الطراز الذي ألغت معظم شركات العالم استعماله، ومنها بلادنا منذ سنوات طويلة، وهي تابعة لشركة (أمريكان إيرلاين).

ركبنا في الدرجة الأولى التي هي مؤلفة من ثلاثة صفوف فقط من الكراسي، في كل صف أربعة مقاعد، ومع ذلك بقيت

فيها ثلاثة مقاعد خالية.

والركاب فيهم أمريكيون بيض، وفيهم السود من أهل هايتي، وهم أكثر ركاب سود صادف أن ركبوا معنا في الطائرة في جولتنا هذه، ولا عجب في ذلك، لأن سكان هايتي يتألفون من السود.

وحالما ارتفعت عن الأرض لججت في مياه البحار الكاريبي، إلا أنها صارت تطير بعد ذلك فوق مياه ضحلة واسعة يعجب المرء من سمعتها مع ضحالتها، وهي زمردية اللون، جميلة المنظر، لأن الشمس ساطعة، ولا غيم في الجو، فصار المرء يرى من الطائرة قاع البحر تحت هذه المياه الضحلة، وظهرت جزر قاحلة لكونها غير مرتفعة كثيراً عن الماء، ولكنها جميلة لأنها محاطة بمياه زمردية من المياه البحرية الضحلة.

ثم اجتزنا جو جزيرة كبيرة نسبياً فيها زراعة، ولم يذكر الطيار شيئاً عنها، إلا أن الغريب هنا أن منطقة من الأراضي المشبعة الصغيرة قد برزت من مياه البحر وسط المياه الضحلة، بل القليلة فصارت مياه البحر حولها كأنها هي مصبوغة بصباغ أخضر.

ورأينا بعدها جزراً أخرى عجيبة، لا يصح أن تسمى جزراً الآن، لأنها لم تبرز تماماً من مياه البحر، وإنما كادت تفعل ذلك، فهي ترى واضحة تحت سطح الماء بمقدار قليل جداً من العمق، فكأنما هي لم تولد بعد، وحولها - أيضاً - مياه ضحلة خضراء.

هذا وكانت مضيئة الطائرة، وهي واحدة بيضاء متغيرة،

فايتي من السفر إلى هايتي

تعد الطعام، وكانت سألت الركاب عما يريدون، فطلبنا شواء من لحم البقر، فجاءت به مع الغداء الحافل، وفيه من العجب أنهم وضعوا ما يشبه الصلصة في فنجان صغير من اللدائن ما أن ذقته حتى عرفته، وهو التمر الهندي، وكنا نضعه مع الجريش في القديم، لا نأكل الجريش إلا به، وهو يوضع فوقه أي فوق الجريش بمثابة الأرز، أو يوضع في مرق اللحم ويؤتمد به، وقد تركه قومنا الآن، بل نسوه حتى لا يعرفه أبنائنا، وكنا نسميه (الصبار) وتمر الهند.

مع أنه مفيد حتى إنه يطهر الأمعاء من أنواع من الجراثيم، وقد ذكر ابن بطوطة - رحمه الله - أنه عندما كان في الهند أصاب البلاد وباء فظيع، كان الناس يموتون فيه بالعشرات، ثم بالمئات يومياً، قال: وقد نفعني الله بالتمر الهندي، أستعمله في اليوم والليلة ثلاث مرات فسلمت من الوباء.

هكذا قال في رحلته، وكأنما هؤلاء الأمريكيون أرادوا العودة إلى الطبيعة، ليس في تقديم صلصة التمر الهندي الحامض فقط، وإنما جاؤوا أيضاً بالسلطة الأوربية المعتادة التي عمادها الخس مضافاً إليه شيء من الجبن الخفيف المبشور، وجاؤوا أيضاً بسلطانية صغيرة فيها بصل رطب مقطع، وجزر مقطع، وعليها قليل من الزبادي.

أما اللحم فإنه شواء بقري لذيذ خال من الشحم والعصب، وأحضروا معه قطعة كبيرة من البطاطس مسلوقة بكاملها ولم

تقشر، وكان مع السلطة فطر وهو المشروم وهليون، وخضرات،
وأما الشراب فإنه ما شاء الراكب، وقد شئنا أن يكون عصير
البرتقال، وشاء غيرنا أن يكون شراباً ثقيلاً كانت المضيضة
أحضرتة في زجاجاته، تسكب في كأس من يريد منها، وهي على
أنواع، منها الصفراء التي قال فيها أو في مثلها شيخ الفساق أبو
نواس الحسن بن هانئ:

دع عنك لومي فإن اللوم إغراء وداوني بالتي كانت هي الداء
(صفراء) لا تنزل الأحران ساحتها لو مسها جبر مسته سراء
إلى آخر القصيدة التي فيها هذا البيت الشاعر:

فقل لمن يدعي بالعلم معرفة حفظت شيئاً وغابت عنك أشياء
وحتى الخمر التي تمزجها المضيضة بالماء تصبح صفراء أيضاً
كما قال:

وحمراء قبل المزج صفراء بعده

وأما البيضاء، وأظنها ما يسمونه الآن (شمانيا)، فإنها
يصح فيها ما قيل:

رقّ الزجاج، وراقت الخمر وتشاكلا فتشابه الأمر
فكأنما خمر ولا قدح وكأنما قدح ولا خمر
وما لنا ولأم الخبائث التي عافانا الله منها وله الحمد والمنة،
لذا نقول: إن الطائفة بدأت بتخفيض صوت محرركاتها، وكبح
جماحها قليلاً فوق مياه كاريبية نسبة إلى الكاريب الذين كانوا
قبائل يسكنون في هذه المنطقة من جزر البحر الواقع بين
الأمريكيتين الجنوبية والشمالية قبل وصول المكتشفين الأوروبيين

فايتي من الصغر إلى هانئتي

الذين يقودهم كريستوفر كولومبس المعروف هنا باسم (كولون)، كما صاروا يطلقون عليه باللغة الإسبانية، فقاوموا سيطرة الأوروبيين الذين صاروا يقتلونهم بلا هوادة بحجة أنهم يقتلون أعداءهم البيض ويأكلونهم، وإنهم لم يرضوا بمهادنتهم أبداً، ولذلك فنوا جميعاً من هذه المنطقة، ماعدا فئة قليلة اعتصمت بجمال جزيرة دومنيكا الكاريبية.

وكانت مياه البحر تبدو من بخار الماء كأنما علق بها غبار مع أنه لا غبار في الماء.

فوق جزيرة هسبنيولا:

بدت جزيرة (هسبنيولا) على البعد ذات جبال غير عالية، وساحل غير واسع، وقد جعلني مرآها على بعد أتخيل ما كان يدور في نفس كريستوفر وزملائه من البحارة والعلماء العرب الأندلسيين، أو على الدقة أبناء الأندلسيين الذين كان يأخذهم معه، لأنهم هم العلماء بالفلك والحساب دون غيرهم من سكان أوروبا في ذلك الوقت.

وكانوا رأوا الأرض اليابسة من العالم الجديد في إحدى جزر الباهاما التي سوف نزورها بإذن الله بعد الانتهاء من زيارة (هايتي).

وكان وقع منظر هذه الجزيرة التي هي الجزيرة الثانية في البحر الكاريبي من حيث الاتساع بعد جزيرة (كوبا) عظيماً في نفوسهم، إلى درجة أنهم أسموها (هسبنيولا) على اسم سفينتهم

التي كانوا يستقلونها، وذلك أنهم لم يعرفوا لها اسماً.

وتتقاسم جزيرة (هسبنولا) هذه في الوقت الحاضر كل من هايتي وجمهورية الدومنيكان، وقد زرت (الدومنيكان) وذكرت زيارتها في كتاب «بورتوريكو والدمنيكان» من سلسلة الرحلات الكاريبية.

وأذكر أنني عندما وصلت إلى (سانتو دومنغو) عاصمة جمهورية الدومنيكان حاولت السفر إلى هايتي، وكان الإخوة المسلمون في البحر الكاريبي قد حذروني من زيارة هايتي، وذكروا أن الأمور فيها قد وصلت إلى حد الفوضى، وأنه حتى الخروج منها صعب، فنصحوني أن لا أسافر إليها وحدي، لا سيما أنني معي نقود كنت أحضرتها لمساعدة أئمة المساجد، ومشروعات المساجد التي تقام، فطويت صفحاً عن زيارة هايتي، وأزمنت السفر إلى كوبا، ولكن لم يتيسر ذلك آنذاك بسبب عدم وجود طيران قريب من (سانتو دومنغو) عاصمة جمهورية الدومنيكان إلى هافانا عاصمة كوبا.

إن هذه الأرض الكاريبية قد منحت العالم الجديد أشياء من النبات ما بين طعام وفاكهة، لم يكن يعرفها من قبل من ذلك هذا الطعام الذي أصبح شعبياً عاماً لكل العالم، وهو (البطاطس)، وكذلك الذرة والطماطم والأناس والجوافا، ولكنها أعطت العالم أسوأ مثل على العطية، أو لنقل: إنها الهدية الضارة المضرة وهي الطباق الذي يدخنه الناس الآن، ولم يكن

معروفاً للبشرية في العالم القديم قبل ذلك.

وكذلك أعطت العالم الجديد هدية أخرى، ولكن على كفاً من القذارة المغلفة باللذة وهي الزهري، ذلك المرض الذي ينتقل بالمعاشرة مع المرأة.

كنت أفكر في ذلك والطائرة تصل إلى جواء جزيرة (هيسبنيولا) فوق الأرض الهايتية منها، فأرى فيها حقولاً صفراً مما يدل على أنها كانت مزروعة بمحاصيل حصودوها منها، وأشجارها غير ملتفة، ونهراً واسع المجرى، إلا أنه نزر المياه، لذا ترى الرمل في مجراه أكثر من الماء، بل لا ترى الماء في بعض المواقع أصلاً، وكل ذلك يدل على أن المنطقة ليست ملتفة الخضرة، ولا بالغة الخصب.

والمنازل في الريف أيضاً غير وحيهة المنظر، مع ذلك هي كثيرة على الساحل، حتى يمكن القول بأن الساحل متصل المنازل والقرى، وإن لم يكن ذلك بكثافة، والشيء الظاهر فيها أنها صغيرة ضيقة المساحة.

ثم رأيت المرفأ منعطفاً من البحر داخلاً في البر على هيئة هلال واسع، وهو واقع تحت جبال عالية، وإن لم تكن شاهقة العلو.

ثم منازل المدينة بيض صغيرة، يبدو بعضها في أطرافها كما لو كان غرفة واحدة.

وبدت أحياء المدينة في أطرافها مكتظة بالمنازل التي تقل

فيها الشوارع السريعة المستقيمة، ويكاد يعدم الزفت في شوارعها، إلا أن الأشجار الخضر فيه كثيرة، وبعضها نبات أخضر وليس شجراً.

وقد عجبت جداً من قلة الشوارع المستقيمة فيها، وإنما معظم ما فيها من الشوارع تبدو كالأزقة القصيرة، فذكرت (كوبا) التي كنت فيها حتى أمس، وشوارعها الواسعة التي أكثرها مستقيم.

وحتى امتداد الشوارع هنا يبدو أنه خالٍ من الذوق الجمالي، بمعنى أنه لم تراغ فيها الناحية الجمالية.

ورأيت بعض الشوارع الرئيسية فيها شيء من الزفت في جزء منها، وبقية الشوارع خالية منه كأن يكون في وسطها أو في حاشيتها مما يدل على أنها كانت جيدة ففسدت.

ومن الأشياء الجيدة فيها أن معظم المنازل فيها ذات لون أبيض.

واتضح طبيعة الريف، وهو أنه فيه حقول كثيرة، ولكنها صغيرة من حقول قصب السكر ومن مزارع الموز.

في مطار بورت أو برنس:

هبطت الطائرة في مطار بورت أو برنس في الساعة الخامسة وسبع دقائق بتوقيت ميامي المماثل لتوقيت (هايتي) بعد طيران استغرق ساعة ونصفاً.

ورأيت الأعشاب قرب مدرج الطائرة خفيفة يعلوها قليل من الصفرة، ربما كان ذلك لأننا الآن في غير موسم الأمطار بالنسبة لهذه المنطقة.

وساحات وقوف الطائرات جيدة، لكنها غير واسعة.

أما مبنى المطار فإن اللون الأخضر هو الغالب على طلائه.

وقد استقبل الطائرة عمال سود، وقد صف سبعة من أهلها عند سلم الطائرة لاستقبال أحد الركاب، وكلهم إفريقيون في الأصل، وإن كانوا قد غادروا - أي غادر أجدادهم - إفريقية قبل خمسة قرون أو نحو ذلك.

وكل ماحولك يشعرك بأنك في إفريقية، حتى الطائرة وقفت في ساحة الوقوف، وليس أمام كم من الأكمام التي يدخل من باب الطائرة إليها، وهي الدهاليز المتحركة.

كان أول الواقفين عنده من موظفي المطار ضابط الجوازات الذي رحب بي ترحيباً حاراً عندما رأى جوازي سعودياً، وأسرع يختمه بما لم يستغرق إلا دقيقة واحدة، وقد ذكرت بذلك مجاملة سفارتهم في باريس لنا عندما ذهب إليها رفيقي في الرحلة الأستاذ رحمة الله بن عناية الله، مع مدير مكتب الرابطة في باريس من أجل الحصول على سمة الدخول إلى هايتي، فمنحونا السمة مجاملة لمدة ستة شهور، ولم يتقاضوا شيئاً حتى من رفيقي الذي يحمل جواز سفر معتاداً.

وعند تسلم الحقائق كانت عربات اليد عند موظف يأخذ دولاراً واحداً ليعطيك عربة واحدة، ولم يكونوا ربطوها آلياً، وتتقاد العربة معك إذا أدخلت دولاراً واحداً من ثقب في العمود الحديدي الذي ربطت به، كما عليه الحال في كثير من بلدان العالم، ومنها كوبا وميامي اللتين قدمت منهما في هذه السفرة إلى هايتي.

وأما ضابط الجمرك فإنه نظر إلى ظاهر جوازي ثم أفسح لنا الطريق.

ورأيت هنا شيئاً لم أفهمه، وهو أن بعض الركاب وقفوا عند ضابط الجمرك ناحية بعد أن فرغوا منه لم يغادروا قاعة الوصول مما لم أر له نظيراً في أي مكان في العالم، إذ يفرح المسافرون بالانتهاء من ضباط المكس (الجمرك) ويخرجون إلى القاعة الداخلية أي التي تلي المدينة من الداخل، وقد عرفت السر بعد ذلك وأنه في الهدوء في تلك القاعة وهي صغيرة، ولكن ما بعدها مما يلي المدينة هو الفوضى الفظيعة.

ذهبنا إلى مكتب في القاعة الداخلية التي هي ضيقة مستطيلة، فرأيت الناس من خارج المكان مع باب الخروج من المبنى يشيرون بأيديهم ويلوحون بسواعدهم صائحين: تاكسي، تاكسي، وذلك قبل أن نخرج من القاعة، وقد منعهم جنود من الدخول إلى القاعة، ولكنهم يفعلون ذلك بطريقة فوضوية توحى بالخوف، فأردنا أن نعرف اسم فندق في العاصمة.

ولم تفهم امرأتان في المكتب قصدنا، أو هكذا بدا لنا مع أنهم يعرفون الإنكليزية، لأنها لغة الجار الكبير الذي لا يفصل بينهم وبينه إلا قليل من مياه البحر الكاريبي وهو الولايات المتحدة الأمريكية التي يحصلون من المفترين العاملين فيها على مبالغ مالية كبيرة.

إلا أن أحد الضباط تعاون معهم على فهم كلامنا، فأعطونا اسم فندق مناسب فيما ذكروه.

اقتربنا من باب الخروج من مبنى المطار فارتفعت أصوات المنادين خارجه بالتاكسي وغيره.

واشرأبت أعناقهم، وزاد تكتلهم حتى جزمت بأنه لا يمكننا النفاذ من بينهم، وأمسكت بمقبض حقيبتي اليدوية بكل قوة، ولكن موظفاً رسمياً كان واقفاً على الباب من الداخل أشار إلى باقة معلقة في كتفيه رسمية وهو يقول: تاكسي؟ فقلنا نعم، لأنه رسمي، ولكن تبين أنه ليس سائق سيارة أجرة، وإنما ذهب معنا يحمل إحدى حقائبنا ليركبنا في سيارة أجرة، والسائقون يصيحون به ويوجهون إليه صيحاتهم دوننا بما لا نعرفه، ثم تخاصم مع شخص معين حتى كادا يتضاربان فهمت منه أن ذلك الرجل هو صاحب الحق في حملنا لكونه في أول الصف من سيارات الأجرة، غير أن الموظف الرسمي نادى على آخر خلفه، معه سيارة جديدة نظيفة، وركبنا معه وسط احتجاج السائق الآخر وغضب الآخرين.

وقد صرنا فرجة بينهم، والغريب أنني لم أرَ أحداً ممن

كانوا معنا في الطائرة ركب في سيارة أجرة، وربما كانوا يركبون مع أقارب أو معارف لهم.

وهذا ظنناه سيحدث لنا إذ طلبنا من الأخ حنيف الإسلام في كوبا أن يعطينا عنوان أحد المسلمين في هايتي، حتى نخبره إذا وصلنا المطار أو قبل ذلك إن تمكنا منه، من أجل أن يستقبلنا في المطار، والأخ حنيف هو هايتي مسلم، اتهم بأنه اختطف مع زميلين له طائرة أمريكية، ولذلك بقي في كوبا واتفقت معه جمعية الدعوة في قطر على أن يعمل معها في كوبا، فصار مدرساً وإماماً للمسلمين الجدد في قرية (بلايادي روساريو) التي زرناها، وذكرت حديث الذهاب إليها مفصلاً في كتاب ((السفر والأوبة من كوبة)).

ولكننا عندما وصلنا الى المطار قبل هنيهة اتصلنا ببيته على رقم الهاتف الذي معنا، فردت امرأة قائلة: إنه خارج المنزل، فأخبرناها بأمرنا وأنتا وصلنا إلى المطار، وكنا نظن أنه مطار معتاد نستطيع أن نتنظر في قاعة الوصول فيه التي تبين أنها خالية من الناس لو أردنا البقاء فيها. لذلك أستأجرنا سيارة أجرة.

في مدينة بورت أو برنس:

اسمها فرنسي معناه: ميناء الأمير، ولم أجد من أخبرنا بشيء من أمره من أهلها.

ركبنا في سيارة الأجرة وسط نطاق كثيف من الفضوليين والذين لا عمل لهم، ومن ألسائتين الذين لا شك في أنهم حسدوا

فأينتي من السفر إلى هايتي

سائق السيارة على ظفره بهذا الصيد السمين الذي هو نحن، ولم يكن همنا عندما ركبنا أن نعرف كم السعر، وإنما أن تسير بنا السيارة التي اطمئنا لها بسبب كون الذي استأجرها رجلاً رسمياً من المطار معروفاً، أو يعرف السائق جيداً، وما يزال بعضهم يخاصم الرجل المسؤول على كونه لم يركبنا معه، ويرفعون أصواتهم بذلك.

وكلهم أسود الجلدة، بل فاحم السواد كأنه ساكن في المنطقة التي تقع تحت خط الاستواء في إفريقية، حتى خُيل إلي أن بعضهم ازداد سواده في هذه البلاد عما كان عليه في إفريقية، مع أنني لم أعرف مقدار سواده إلى سواد أجداده عندما وصلوا إلى هذه المنطقة، وليس المراد بنسبته إلى إفريقية مجرد السواد الذي يشترك فيه مع الأفارقة أقوام من سكة جزر المحيط الهادي، وجزر بحر الكاريب هذا، وإنما تقاسيم وجوههم وتقاطيع أجسامهم التي هي الإفريقية الأصلية لم تتغير.

الغدا في معاناة التراب:

تحرك السائق بسيارته وقد أغلق زجاجها واستعمل مكيف الهواء فيها، وفات بذلك عيون الحاسدين والمتابعين لها، إلا أنه لم يستطع أن يسير بها كما يسير الناس بسياراتهم، إذ الأرض التي كانت طريقاً للمطار قد صارت ميداناً للقتال ما بين السيارات وراكبيها وبين الغبار الذي كان يتطاير ويجلل السيارات وراكبيها الذين لا يستطيعون إغلاق سياراتهم دونه، فيهبط على

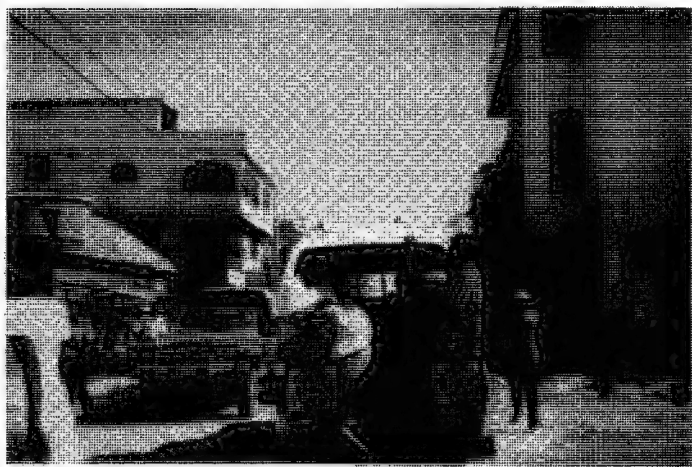
حواشي الطريق أو في وسطه منتظراً السيارات الأخرى التي تطؤه وتدوس على ما تكرر وطؤه منه.

وليس الغبار وحده هو المشكلة، وإنما المشكلة أن الأرض قد يصح أن يقال إنها كما تركها الإنسان الأول، وهو آدم عليه السلام، إن كان بالفعل قد زار هذه المنطقة من البحر الكاربي، وظني أنه لا يصبر على زيارتها إن كان الله أوحى إليه بما يؤول إليه أمرها في الوقت الحاضر.

فالطريق لا تعرف مكانه، لأنه وماحوله صار حفراً ومصائد مليئة بالغبار فتصطاد عجالات السيارات التي ترفع السائق وتخفضه كما يرفع الموج راكب السفينة ويخفضه، ولم يكن من الممكن معرفة حد الشارع من غير الشارع، لأن الكل خراب قد علاه التراب، ومليء بالحفر، وإنما يصح أن يقال فيه إنه كان هنا مرة طريق، ومن المؤلم أن المشاة موجودون حتى عند المطار، وعندما أنطلقنا منه كانوا يتلقون الإزعاج من هذا الذي كان يسمى طريقاً أكثر مما يتلقاه منه ركاب السيارات.

وزاد المنظر إيلاماً أنهم يستعملون سيارات النقل الصغيرة التي تسميها العامة عندنا (الوانيت)، وتسمى في مصر (بكب) بمثابة حافلات النقل، وهي مكشوفة أو مغطاة بعض ظهورها، فيركبون فيها وتمشي بهم فتفيض مؤخرتها بهم، وتتطامن من أواخرها بثقلهم فيتلقون من (مطباتها) ومن غبارها ما يشق تحمله على غيرهم ممن لم يعرفوا مثل هذه المراكب، ويظهر أن السائقين

لا يبالون بهم، فهم لا يتمهلون إلا عندما يتعلق الأمر بحضرة يخشون
على سياراتهم من وقع الهبوط فيها.



يحولون سيارات النقل الصغيرة إلى سيارات أجرة لنقل الركاب
مختلطين في عاصمة هايتي

وأما نحن في داخل سيارتنا الجديدة المكيفة، فإنه لا بد لنا
من أن نتعلق باليدين كلتيهما في أماكن وضع اليدين فيها، وإلا
خشينا أن نقفز إلى سقف السيارة، ونهبط ثم نقفز، ونهبط
مضطرين إلى ذلك.

وأما الرجرجة والتمايل المزعج يميناً ويساراً فإنه يعتبر
كالإراحة لنا من الارتفاع والانخفاض، ومن الغريب أن معظم
السيارات قديمة، ولكن توجد بينها سيارات جديدة، لا شك أن
مثل هذا الطريق مما يخلق جدتها، أي يجعلها حلقة بسرعة.

والسائق يواصل إطلاق مزمار سيارته ينبه الناس بذلك لكي

يبعدوا عن طريق السيارة الذي هو ليس طريقاً يستطيعون الابتعاد عنه، وإنما هو مساحة واسعة من الفراغ يصعب عليهم أن يتركوها كلها للسائق لمجرد أنه يريد أن يمر خلالها.

وذكرت بهذا بلاد الهند الشهيرة التي يطلق فيها السائقون مزامير سياراتهم لا يكادون يفترون.

وحتى الشاحنات الخشنة من القلابات أو سيارات النقل قد اتخذت كالحافلات التي يتكدر فيها الناس دون مقاعد أو مایشابها، وإنما يتكومون داخلها، ورأيت واحدة منها في آخرها مجموعة من الصبيان البائسين الذين يرتدون ملابس قذرة ممزقة، تعجب من أن يبقوا على بقاياها التي لم تعد تصلح أن توصف بأنها ملابس.

وتذكرت في هذه الحالة المحزنة حالة كوبا التي خرجنا منها فجر هذا اليوم، وكيف كانت طرقها جيدة، والناس فيها على غاية من النظافة، والطرق سلسلة تحف بها الأرصفة الجيدة، ودعوت لها بالعمارة والمستقبل الزاهر، إذ لا توجد فيها مثل هذه المناظر، ولا تخطر ببال أهلها أنها توجد مع أنها بلاد شيوعية تحدد دخول الناس، وتمنع عنهم ترف المعيشة، سواء ما كان منه ترف الدولة وترف الأفراد.

ومن عجب أني لم أرَ حتى الآن أي شخص من الخلاسين وهم الذين لونهم ما بين السواد والبياض كما عليه الحال في كوبا، حيث الأكثرية من البيض بعدهم السود ثم الخلاسيون،

ولكن هنا الأكثرية والأقلية والمتوسطة -إن صح التعبير - كلها من السود، وليس هذا ذماً للسود، ولا مدحاً للبياض، ولكنه الواقع، ودم السيئ منه، أي من ذلك الواقع، وهو حالة الأرض التي يسمونها - تجاوزاً - بالطريق.

استمر السائق في سيره قاصداً المدينة، واستمر سوء الطريق، واستمر تدفق الناس على حواشي هذا الطريق وعلى وسطه، لأن في حواشيه عوائق من النفايات أو التراب، والسائق يلح ببوق سيارته عليهم ليبعدوا عن طريقه، وكذلك يلح على السائقين الآخرين ألا يضايقوه .

إفريقية بلا حسنات:

لكل بلد من البلاد حسنات وسيئات، وما رأيناه الآن في هايتي يؤكد لنا أننا في إفريقية، ولكن بدون حسناتها، ولا ينبغي للقارئ الذين ليسوا من ذوي الجلد الباهتة أو الناصعة أن يزعموا أن هذا الكلام هم من التحامل على ذوي الأصول الإفريقية من السود، فالمؤلف كتب كتباً كثيرة عن إفريقية، ذكر فيها ما ظنه حسنات وما اعتقده سيئات، وحتى في أقطار كاريبية أخرى هي جزر من جزر هذا البحر ذكرت الحسنيات فيها، ولكنني هنا لم أرَ غير السيئات، وإذا ارتبطت السيئات في ذهن قارئ من القراء بأي لون من الألوان، فإن هذا لم يكن في حساب المؤلف، ولا يمكنه أن يترك قول الحقيقة لمجرد أن بعض الناس لا يحبون أن يسمعوها.

فقد أثبتت على الشعوب السوداء في جزر البحر الكاريبي التي رأيتها قبل هايتي، وقلت: إنهم أرقى معاملة وأفضل أخلاقاً من الروس ومن لف لفهم ممن رأيت بلادهم منذ شهور من ذلك الوقت، وبذلك بطل ما يقال عن ارتباط الحسن والقبح بلون من الألوان، فاللون هو لون الجلد وهو خلق الله الذي خلق الله عليه الإنسان، بخلاف الأخلاق التي هي أفعال الإنسان الاختيارية التي يستحق الإنسان أن يمدح أو يذم بها.

ومن المفزع أن يحس المرء أن الناس قد ألفوا هذه الجبال حتى لم يعودوا يشكون منها، بمعنى أنها صارت معتادة لهم، وهذا ما لمست من السائق ومن غيره بعد ذلك.

ولو كان الأمر مجرد راحة الإنسان أو حتى حفظ وقته لكان في بعض الشيء، ولكنه متعلق بنواحٍ عديدة من نواحي حياته فعلى سبيل المثال توجد مياه من المياه المستعملة طافحة في الشارع، وتأتي السيارة تخوض فيها، وتتشرب رذاذها على الناس فتؤذيها وتنقل إليهم أمراضاً، وحتى إذا لم يصيبهم رشاشها، فإنها قد تجف بسبب الشمس والهواء فتصير المواد التي فيها عالقة في الهواء يتنفسها الناس، وتصيبهم بالجراثيم والأمراض.

ومن الملاحظات السريعة على الناس هنا هم أنهم شعب نشط جسمانياً فتجدهم يسيرون بسرعة، وكأنما لا يعرف الكسل لهم طريقاً، كما أنهم شعب يصعب عليه الهدوء، ويكثر فيهم الفقراء، وذوو الملابس الرثة، وبخاصة من الصبيان.

كان عداد السيارة يسجل بالدولار ما لا نعرفه، لأننا كنا
سألنا في المطار عن الأجرة إلى المدينة فذكروا أنها عشرون دولاراً،
ولكن العداد يسجل الآن ما زاد على العشرين، ولم نصل، فقلنا:
ربما كان ذلك بعملتهم، وعندما وصلنا إلى الفندق سألت العاملين
في مكتب الاستقبال فيه عن ذلك، فذكروا أن الأجرة هي
عشرون دولاراً. وقد سجل العداد أكثر من ثلاثين قبل أن نصل
أيضاً.

وصلنا أطراف مدينة (بورت أو برنس)، ولم تتحسن حالة
الطريق، وإنما صرنا نسير في شوارع كان بعضها مزفتاً وذهب
ذلك كله، وبقي مكانه حصاً وتراب.

وقد زاد من المضايقة أن الموسم ليس موسم الأمطار، لذلك
كان الجفاف النسبي هو المسيطر، وكان الغبار يجلل جوانب
الطريق.

فرحنا عندما وصلنا أطراف المدينة، غير أن السائق استمر
في سيره في شوارع رديئة مكتظة بالسكان من جميع الأعمار، من
رجال ونساء يمشون في أماكن الأرصفة، وفي وسط الشوارع
بكثرة لافتة للنظر وكأنما خرجوا من اجتماع عام. وهم الشعب
الإفريقي الذي وصفته لا يخالطه مخالط.

ولا بد عند ذكر الشعب الإفريقي الذي أقصده أنه الذي
يعيش تحت خط الاستواء أو حوله، مثل أهل ساحل العاج
وسيراليون والجابون والكنغو وليسوا الأفارقة الوجهاء من المالين

- أهل مالي- ومن السنغاليين وأهل النيجر وتشاد، فأولئك
مظاهرهم غير مظاهر هؤلاء، بل يمكن أن يقال لهم: سادة
إفريقية.

ولما طال سيره في شوارع المدينة مع هذه المناظر غير المريحة
وحالة الطرق، وبعض المباني أوجسنا خيفة من أن يكون عدل بنا
إلى ناحية أخرى، غير أننا تذكرنا أن الذي أركبنا معه هو رجل
رسمي يحمل شارة رسمية حكومية على كتفه.

إن هذه البلاد كانت مستعمرة فرنسية، ولكن ليس فيها
الآن شيء من التأثير الفرنسي 'غير اللغة، وليس فيها من الذوق
الفرنسي شيء، وذلك أن الاستعمار الفرنسي قد فارقها قبل نحو
مائتي سنة إذ كان استقلالها عن فرنسا في عام ١٨٠٤م.



شارع جيد في إحدى ضواحي (بورت أوبرنس)

كما أن الولايات المتحدة الأمريكية لها نفوذ ظاهر عليها

الآن، ومع ذلك لم يكن لها تأثير نافع ظاهر.

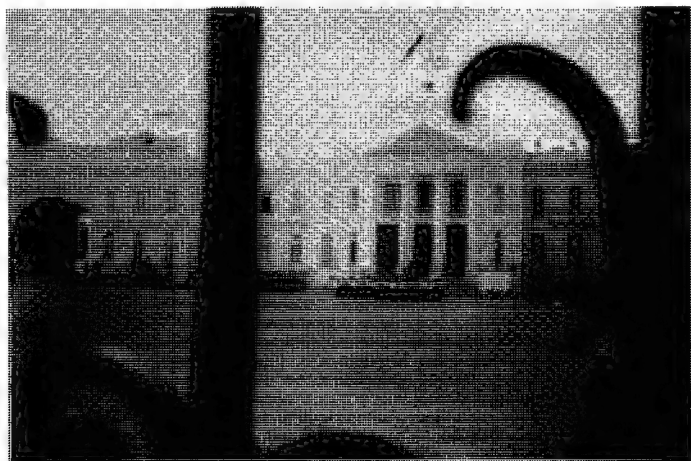
ولاحظت أن الذوق الإفريقي في النقوش والتزيينات لا يزال موجوداً بقوة، فمثلاً رأيت حافلة قد نقشها أصحابها كلها بنقوش من أصباغ متعددة ما بين حمراء إلى صفراء وزرقاء، وكذلك رأيت فنونهم الشعبية بعد ذلك في الرسم ذات ألوان صارخة وزوايا غير مستقيمة، فهي بهذا تشبه أو تقترب من أن تشبه الفن الصيني. وتبعد عن الفنون العربية في النقش والرسم.

ومنذ أن دخلنا المدينة وبصري يتلمس مبنى جيداً أرجو أن يكون هو الفندق الذي نقصده، فرأيت مبنى ممتازاً على بعد تبين بعد ذلك أنه كنيسة كاثوليكية ضخمة هي المبنى الوحيد الجيد المظهر في المنطقة، إلى أن وصلنا ميداناً يقع عليه قصر أبيض ضخم فخم، أشار إليه السائق وقال: هذا قصر رئيس الجمهورية، وكان هذا القصر مع الكنيسة أضخم المباني وأجملها هنا حسبما رأيناه حتى الآن.

وصل السائق إلي الفندق الذي يقع في شارع غير واسع متفرع من ميدان مهم قريب، ومدخله ليس بذاك، وكذلك مكتب الاستقبال فيه، ولكن داخله كان مختلفاً إذ فيه حديقة مزهرة واسعة، وقد أظلت أرضه أشجار وارفة الظلال.

وجدنا في مكتب الاستقبال فتى وفتاة من المواطنين السود، ولكن سوادهما غير حالك، فكانا مثلاً للتعامل الجيد المنظم، ذكرنا أن الغرفة بـ ٧٥ دولاراً مع الفطور، وإن كان فطورهم لا

يستحق الذكر كما سيأتي، ورأيت غرف الفندق على البعد
منثورة، فطلبت غرفاً في الطابق الثاني، لأن الفندق مؤلف من
طابقين، فاستجابوا لذلك، وتبين أنه ليس فيه مصعد، ولذلك صار
حامل الحقائب يجاهد في حملها مع الدرج.



القصر الجمهوري في بورت أوبرنس

ونسيت أن أقول إننا عندما وصلنا كان عداد السيارة قد
سجل ٤٦ دولاراً طلبها منا، وظهر أن الأجرة عندهم على وجهين:
إما حسب العداد، ولهذا سجل المبلغ المذكور إن كان عده
مضبوطاً، أو بالأجر المقطوع وهو عشرون دولاراً، وبعد أخذ ورد
رضي بثلاثين دولاراً، أي أكثر من مائة ريال سعودي.

ولم يطلب الفندق الاطلاع على جواز السفر، وإنما اكتفى
بما سجلناه في الأوراق من الاسم كما لم يطلب الأجرة مقدمة،
وإنما طلب الاطلاع على بطاقة الائتمان التي يحملها رفيقي في

السفر الأستاذ رحمة الله بن عناية الله.

اخترقنا الحديقة الجيدة التي تزين جانباً منها بركة للمياه زرقاء الرخام، لذلك صار لون مياهها أزرق، ودحننا الغرف التي وجدناها فسيحة، في كل غرفة سريران مزدوجان، ونحن لا نحتاج إلا سريراً واحداً، وفيها تلفاز مربوط بالأقمار الصناعية، ومكيف جيد رغم كون الجو ليس حاراً، لأن الفصل عندهم هو آخر فصل الشتاء، وإن لم يكن ظهور الفصول في بلادهم مثل ظهورها في بلادنا. والغرفة تفتح من جهة الحديقة على شرفة واسعة، بابها كله من الزجاج النظيف.

لذلك صرنا كأننا في داخل الحديقة المزهرة في هذه الغرفة الباردة، فصنعنا الشاي من الذي معنا.

وتذكرت بذلك ما مررنا به في المدينة فتلوت الآية
الكريمة ﴿ فَضْرِبْ بَيْنَهُم سُوْرًا لَّهٗ بِابْءٍ بَاطِنَةٍ فِيْهِ الرِّحْمَةُ وَظَآهِرُهُۥ مِّنْ قَبْلِ
الْعَذَابِ ۝﴾

إذ بدا هذا الفندق بحديقته المزهرة الظليلة كأنما هو عالم آخر لا علاقة له بالمدينة.

فتحت جهاز التلفزة على تلفازهم من قناة واحدة، فإذا به ينقل مناظر لبرنامج للتوعية الصحية، ربما كانت من الأمم المتحدة إذ رأيت فيها بالعربية عبارة (إنتاج مشترك) بين لغتين.



حديقة الفندق الذي نزلنا فيه في (بورت أو برنس)
(صورة من شرفة الغرفة)

ثم رأيت اصرح من ذلك مكتوباً بالعربية على شاشة التلفاز:
(الصحة تجلب السعادة).

كانت الشمس قاربت أن تغيب، ومع ذلك لم نرد أن يضيع
شيء من الوقت وأنا أردد قول الشاعر العربي القديم:

لعمرك ما هذا مناخاً لمثلنا فشدّا عليها وارجلنا بهار
شدّاً عليها أي: شدّا الرجل على بعيريكما، وهو يخاطب
اثنتين، ونحن اثنتان.

لذلك أسرع رفيقي إلى الاتصال بأحد الإخوة المسلمين الذين
كنا أخذنا عناوينهم من الأخ (حنيف الإسلام) في كوبا، وتبين أن
فائيقي من السفر إلى هاييتي

أكثرها لا يرد إلا هاتفاً واحداً بدا أنه لا يعرفنا، ولا يقدر مهمتنا، فذكر أنه لا يستطيع أن يأتي إلينا إلا بعد ظهر الغد، لأن الوقت متأخر اليوم، وهو يعمل غداً، ولا يفرغ من عمله إلا في الثانية والنصف فتركناه. وأخلدت للراحة هذه الليلة وصرت أسود أوراقى ببعض ما تقرأه الآن، و«أدرك شهرزاد الصباح، فسكتت عن الكلام المباح».

ولما كان في:

يوم الخميس ١٧/١٢/١٤٢٠هـ - ٢٣/٣/٢٠٠٠م كان:

صباح هايتي:

أن أزحت ستارة النافذة عن الحائط الزجاجي النظيف الذي يفصل بين الغرفة وشرفتها، فانفرج المنظر عن جنة أرضية قد أورقت أشجارها حتى صارت تكاد تقطر ندى، وبعضها كان يقطر ندى بالفعل، لأن عاملاً مجداً قد بكر برشها بالماء من خرطوم دقيق معه حتى يزيل ما قد يكون علق بها من غبار قادم من الطريق الذي جئنا منه في المدينة، وقد تفتحت أزهارها بل ابتسمت لسكان الفندق، ربما لتعوضهم عما أصابهم خارجه، وأزهارها ما بين وردية وبيض، ولكن أزهاراً سوداً كانت تمشي على الأرض لم تكن تبالي بذلك، ولا ترى فيه غير الشقاء المتصل بالعمل ومكابدة متاعب الحياة خارج الفندق.

وكانت أشجار النارجيل التي تثمر جوز الهند تتمايل فروعها متجاوبة مع نسيم خفيف كأنما يحاول أن يداعبها فتستجيب للمداعبة بغنج ودلال، وهي ريانة حتى تبدو لفرط اخضرارها كأنما هي خدود الغانيات السود.

وبجانبتها أشجار من نخيل الزيت الغليظة القوام التي تشبه في ذلك عجائز أمريكا اللاتينية قيل إن بعضهن يأتين إلى (هايتي) هذه من أجل مرافقة شبانها، مقابل نفقة تنفقها المرأة على الرجل وليس العكس.

وهناك في الحديقة على صفرها شجرة من العمبة أو الأنبة

فايتي من الصغر إلى هايتي

وهي المانقو خضراء واسعة الظل لأنها مشتبكة الفروع والأوراق.

وزان ذلك هدوء مطلق، لأن باب الفندق بعيد من هنا، ولا تحف به شوارع أخرى.

كنت أنظر إلى هذه المناظر وأنا أفكر بما كنت قد رسمته من زيارة (هايتي) في السابق، وكونها قد تحققت الآن فأحمد الله تعالى وأشكره وأسأله المزيد من فضله.

وأسرعت ألتقط صورة للحديقة من وراء الباب الزجاجي للشرفة التي رأيت بابها موصداً بقوة، وموثقاً بالحديد من الداخل، مع أننا في الطابق الثاني الذي هو فوق الأرضي مباشرة.

نزلنا إلى مطعم الفندق لتناول الفطور، فإذا به قليل المقدار، غير جيد النوع، فليس فيه من البيض أو ما اشتق منه شيء، وليس فيه من الجبن إلا شرائح في صحن واحد من لحم خنزير، والخبز نوع واحد، وليست فيه فاكهه إلا أصابع من الموز الذي هو عندهم كثير رخيص.

مسجد هايتي:

ولم أقل مسجد (بورت أو برنس) التي هي عاصمة هايتي، لأنه هو المسجد الوحيد في كل أنحاء هايتي إلا ما كان من قرية تبعد ست ساعات بالسيارة عن العاصمة، فقد أنشئ فيها مصلى قام بإنشائه أحد الإخوة الباكستانيين الذي كان موجوداً هناك، فأنشأ المصلى وأسلم على يده بعض أهل المدينة، وصاروا يصلون

معه، ثم رحل عن البلاد، وصار المسلمون الوطنيون يعتنون به، إلا أن عددهم قليل، وحالتهم المالية غير جيدة.



مسجد هايتي

أما مسجد هايتي الذي سنذهب إليه الآن، فإنه مسجد وليس مصلى كما سيأتي.

كنا أخذنا عنوانه معنا من كوبا، وليس فيه هاتف، فأخذنا سيارة أجرة رأينا صاحبها فيما ظنناه في مكتب الاستقبال، واتفقنا معه على أن يوصلنا إلى المسجد، لأنه يعرف عنوانه، بخمسة عشر دولاراً.

وفوجئنا بأنه ليس سائق سيارة الأجرة، وإنما فعل ذلك من أجل أن يحصل على بعض هذا المبلغ، وقال لنا إخواننا بعد ذلك إن الأجرة من الفندق إلى المسجد في حدود خمسة دولارات إلى ستة.

ولم نكن في وضع يجعلنا نثق بأية سيارة أجرة، لذلك قبلنا

فأبقي من العنصر إلى هايتي

أن نذهب مع هذا الرجل المعروف لأهل الفندق الذين وثقنا بهم،
وتبين أنهم أهل للثقة؛ إذ غادرنا هم في النهاية دون أن نرى منهم إلا
المعاملة الممتازة، والضبط في الأخذ والعطاء، ولم يأخذوا منا
قرشاً زائداً عما يستحقونه، مع أنهم يستطيعون ذلك لو أرادوا،
لأننا فهمنا أن حالة البلاد هي الفوضى غير المقنعة.

رأى الرجل الذي أستأجر لنا سيارة الأجرة أن يركب معنا
حرصاً على معرفة ما نمر به، فذكر أنه يمكنه أن يأخذنا في
جولة في المدينة، ولكننا لم نرد أن نذهب إلى الجولة إلا مع رجل
رسمي معتمد من مكتب سياحة عامل.

ولكنني التقطت صوراً لهذه الشوارع وأماكن مررنا بها.



كل شيء في هايتي يشعرك كأنك في إفريقية

كان من المناظر المتكررة في هذا الصباح الزحام الشديد
في الشوارع من الأناسي والسيارات، فرغم رداءة الإدارة توجد

فأبقي من الفخر إلى هايتي

السيارات بكثرة من سيارات قديمة مهلهلة، وأخرى تحتاج إلى عناية أو إصلاح، ولكنها لم تصلح، إلى سيارات صغيرة جديدة أو كالجديدة.

ومن ذلك كثرة سيارات النقل الصغيرة التي حولوها إلى نقل ركاب بالأجرة (تاكسي)، ويركب فيها الرجال والنساء مختلطين، وأحياناً مكومين، وأحياناً يفيضون من مؤخرة السيارة لكثرتهم.

الضد أن المؤذيان:



شارع تجاري رئيسي في قلب مدينة بورت أو برنس

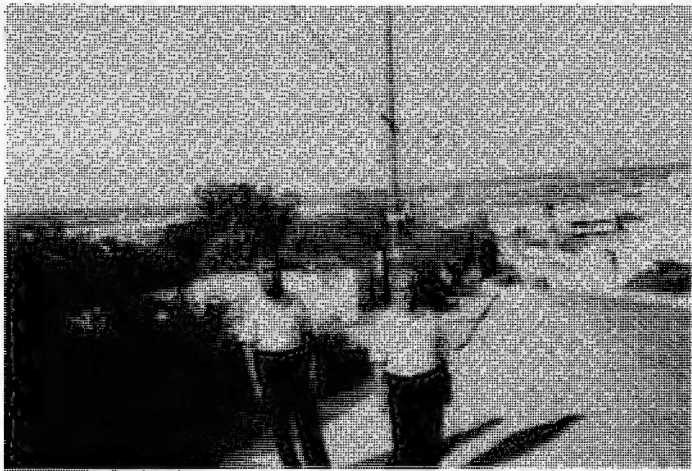
من المناظر المؤذية التي رأيتهما ونحن في الطريق إلى المسجد شارع قد طفح بمياه المجاري التي كانت منذ وقت طويل، بدليل أن جانبيه صارا أسودين، وتحرك السيارات الكثيرة هذه المياه الآسنة القذرة بعجلاتها مجبرة، فتنثر منها على جوانب الشارع الريان من

فأيتي من العنبر إلى هليتي

هذه المياه القذرة الذي يحفل بأعداد كثيرة من المشاة يحاولون أن يتفادوا الوطء عليها مباشرة، وبجانبها متسع في الشارع كالزاوية الخالية من البنيان، فيه قمامة تحرق قد تكاثف دخانها، واسود لغظله حتى صار يؤذي العيون، فاجتمع الضدان: الماء والنار على أذى المارة في هذا الشارع، فما بالك في السكان المقيمين فيه؟

ولما رأيت كثرة الناس في الشوارع قال لي الشخص الذي أستأجر السيارة (التاكسي) من أجل التكسب بذلك: إن سكان العاصمة ثلاثة ملايين نسمة، وهو رجل مثقف مطلع وفصيح بالإنكليزية، وهنا يجدر بنا أن نقول: إن لغة البلاد الرسمية هي الفرنسية، وهناك لغة محلية تسمى الكريول، وهي خليط - كما يدل عليه اسمها - من الفرنسية ولهجات السكان ولا ثالث لهما إلا اللغة الإنكليزية التي فرضها عليهم جوارهم لدول عديدة تتكلم بها أكبرها الولايات المتحدة الأمريكية، وأصغرها جزر عديدة في بحر الكاريب كانت مستعمرات إنكليزية، ومنها جزر كبيرة مثل جامايكا، لذا نجد أن السكان يعرفون الإنكليزية أو شيئاً منها.

عندما رأيت هذه المناظر والروائح أغلقت زجاج السيارة الذي بجانبني، وكنت على يمين السائق، وزجاج النوافذ الأخرى لم يكن يغلق ولا يرفع، فاكتفى كل واحد منا بأن سد أنفه بمنديل، أما المرافقان وهما السائق والرجل الآخر، فلم يفعلوا شيئاً، بل إنهما يبدوان كما لو كانا لا يباليان بذلك.



مع الأستاذ رحمة الله بن عناية الله في أحد الأماكن المرتفعة في بورت أو برنس

ثم وصلنا إلى شارع جيد نسبياً اسمه (شارع ديلماس) على اسم الحي الذي يقع فيه ، فهو واسع ومزفت ، وليس فيه طمح للمجاري ، وإنما فيه قناة صغيرة تباري جانبه ، تصب فيها المياه الخارجة من البيوت ، وهذا في جانب واحد منه ، وأما الجانب الآخر فليس فيه شيء .

وقد تبين أن حي (ديلماس) هذا ، وبعضهم يقول : (ديلما) فلا ينطق بالسين ، ويقولون إن ذلك صحيح ، لأن النطق به يختلف من الأنكليزي إلى الفرنسي ، فالفرنسيون يحذفون السين منه ، فيصبح (ديلما) وليس المراد بالفرنسيين أناساً من الفرنسيين ساكنين في هذه البلاد فهذا غير صحيح لأنه لا يوجد أحد الا النادر الذي لا يذكر مع أنها كانت مستعمرة فرنسية سابقة وإنما المراد اللفظ باسم الشارع .

فأنتهي من العنبر إلى هايتي

دخلنا شارعاً فرعياً مزفتاً ، ليس في زفته شيء فاسد ، وهو
نظيف مرتفع عن الشارع العام، فرأينا منارة المسجد ، بل مناراته
على البعد واضحة رشيقة القوام بيضاء بل ناصعة البياض ، في
نظافة لا تكاد توجد في الأبنية الأخرى المرتفعة ، كأنما تقول لمن
يرونها منهم: إن الإسلام هو دين النظافة والطهر والوضوح.

وعندما اقتربنا من المسجد تبين أن له ثلاث منارات دقيقة
بيض ، وأنه مثل المنارات مطلي بلون أبيض موشح بأخضر في بعض
الأمكن.

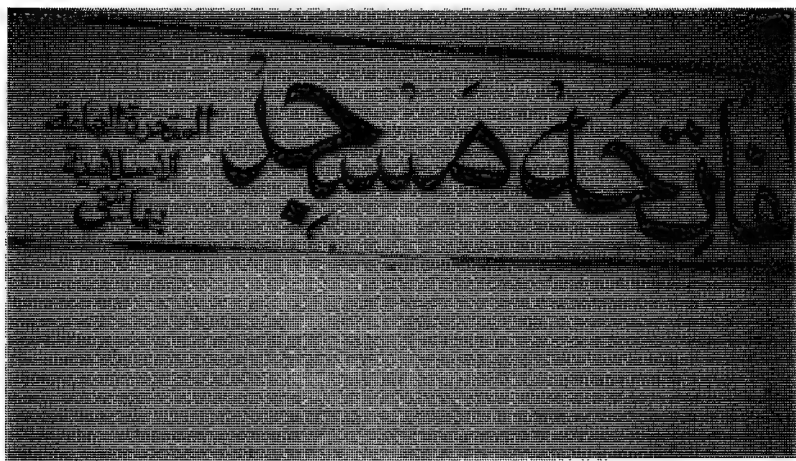
وقال المرافق وهو يشير إلى المسجد: هذا هو المسجد ، مع
العلم بأن الرجل غير مسلم .

أسرعت بالنزول من أجل أن أقرأ اللافتة المكتوبة باللغة
العربية على المسجد ، ليست معها لغة أخرى ، فإذا هي لطيفة
غريبة ، لا شك في أن الذين كتبوها حدثاء عهد بمعرفة العربية ،
مثلاً أنهم حدثاء عهد بالإسلام ، ولا يضيرهم ذلك عند الله تعالى
ولا عند عباده الصالحين ، لأن الشخص بمجرد أن يدخل في
الإسلام يكون له ما للمسلمين ، وعليه ما على المسلمين ، كما هو
معروف.

وتقول اللافتة بنصها وفصها ، أما النص فهو:

((الفاتحة مسجد المتحدة الجماعة الإسلامية بهاييتي))

وأما فصها فإنه في هذه الصورة لها التي أرجو أن تكون



لافتة مسجد الفاتحة في بورت أوبرنس

ويريد بلفظ (الفاتحة مسجد) أن اسمه (مسجد الفاتحة)،
وأن الجماعة الإسلامية المتحدة بهايتي هي التي تقوم عليه.

خرج إلينا من المسجد قبل أن نطرق بابه الأخ الكريم
(عبد العلي) إمام المسجد، بل إمام الجماعة الإسلامية الذي كان
لجهوده الأثر الكبير في بناء المسجد؛ حيث تبرع بأرضه من أرض
بيت له، وصار يجمع التبرعات دولاراً دولاراً هو وغيره، حتى بنى
المسجد، ولم يقتصر على ذلك بل جعله في مكان مرتفع، وحسن
من طلائه وإظهاره بمظهر المسجد، حتى صار علماً من الأبنية على
صغره وقلة النفقة التي أنفقت عليه. والرجل عليه قميص عربي
قصير نوعاً، وقد وضع على رأسه قلنسوة (طاقية) بيضاء كالتي
يلبسها المسلمون في الهند وفي خارجها ليميزوا بذلك عن غيرهم من

غير المسلمين، وقد أسرع إلينا وأسرعنا إليه بالتقبيل والاحتضان،
وكانما كان يعرفنا وكانما كنا نعرفه منذ زمن.

كنت تمنيت أن أستطيع تسجيل علامة الابتهاج التي ظهرت
على وجهه وهو يستقبلنا، مع العلم بأنه لم يكن يعلم بأننا سوف
نحضر إليه، لأنه لا يوجد للمسجد هاتف، وكان حظنا حسناً جداً
أن لقيناه فيه.

أسرعت أتجول في داخل المسجد الذي لم يكن واسعاً،
ولكنه جيد بالنسبة إلى حاجة المسلمين وعددهم في هذه المدينة في
الوقت الحاضر، وتركت الأخ الإمام - كما سمعت القوم
ينادونه - يتكلم مع رفيقي وأنا أسجل اللافتات الكثيرة، بل
الكتابات التي على حوائط المسجد، لأنها مكتوبة على حيطانه
كتابة، وليست لوحات معلقة عليه ما عدا اثنتين.

وكلها بالعربية ليست معها أية لغة أخرى إلا ترجمتها
بالفرنسية، منها الآية الكريمة: ﴿يَسْجُدُوا لِلَّهِ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ
فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ وبجانبيها ترجمتها بالفرنسية.

وأخرى الحديث الشريف: (بني الإسلام على خمس: شهادة
أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام
الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج بين الله
والحر)، وبجانبيها ترجمتها باللغة الفرنسية التي هي لغة القوم.

وأخرى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ وترجمتها

بجانبيها .

وعند الباب من الداخل: (اللهم إني أسألك بفضلك
(رحمته) ولا إله إلا أنت).

وفي المسجد لوحة معلقة فيها آية الكرسي كاملة: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ دون ترجمة.



مصلى النساء في مسجد بورت أوبرنس

فايتي من الصغر إلى هايتي

والمنبر من إسمنت إلا أنه مكسو بلون أخضر، وليس عالياً بل هو ثلاث زلف.

أما المحراب فإنه معتاد إلا أنه أوسع من المعتاد عندنا.

وفي آخر المسجد من جهة الغرب التي هي عكس اتجاه القبلة صلى النساء محجوز بقماش غير سميكة، رأينا فيه بعد ذلك الأخوات اللاتي حضرن لصلاة الجمعة، وصلاة العصر، يرى المرء أشخاصهن من خلال القماش إذا كان الباب الذي خلفهن مفتوحاً، ولا يراه إذا كان مغلقاً.

وهذا أمر جيد أقرب إلى السنة من فعل بعض الإخوة الذين صاروا يجعلون للنساء مصلًى خاصاً بهن منفرداً، لا يرين الأمام ولا من خلفه، ولا يربطهن بالمصلين إلا سلك كهربائي يسمعن من خلاله صوت الإمام يكبر بسماعة لتكبير الصوت، فذلك مخالف لما نعرفه من فعل الرسول ﷺ الذي كانت النساء في عهده يصلين خلف الرجال، فكان يقول: (خير صفوف النساء) آخرها (أولها)، (وأول صفوف الرجال) (آخرها) (أولها). وفسر العلماء ذلك بأن أول صفوف الرجال تكون بعيدة عن النساء، وآخر صفوف النساء تكون بعيدة عن صفوف الرجال، لذلك كانت خيرها.

وهناك نصوص أخرى تدل على ذلك.

وفي فناء المسجد المكشوف، وهو ضيق بمعنى أنه ليس واسعاً، أماكن عدة للوضوء، سارع الأخ الإمام (عبد العلي) يرينا

إياها، ويرينا خزاناً في أسفل الممر ذكر أن الماء يأتي إليه من ماء الحكومة بأنبوب، وأن لديهم محركات كهربائية صغيرة ترفع الماء.

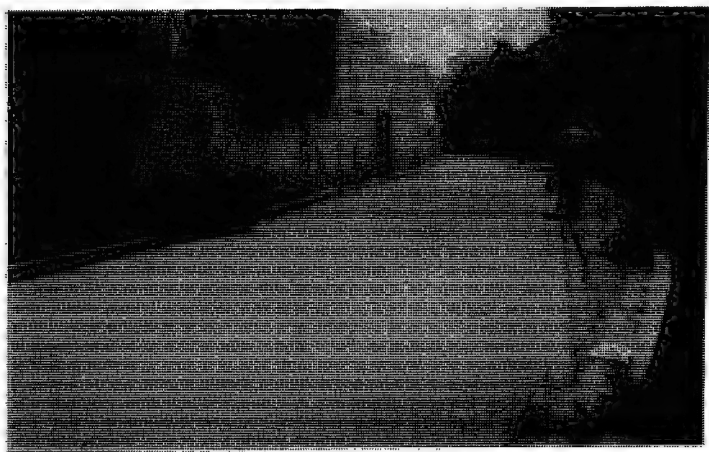
وهذا أمر له أهميته، لأنه لا يتوفر لكل بيت في المدينة.

تاريخ المسجد:

للمسجد أهمية كبيرة بل كبرى في بلاد الأقليات المسلمة، فهو المؤسسة الوحيدة الظاهرة الممكنة للعمل الإسلامي، وهو النادي الذي يجتمع فيه المسلمون ويجدون فيه السعادة الروحية، ويؤدي فيه المسلم فريضة الصلاة، وإمام المسجد هو الذي يفتي المسلمين، ويجهز جنازتهم، وقد يعقد الأنكحة الشرعية، إضافة إلى التوثيق في الحكومة، وغالباً ما يكون في المسجد فصل دراسي لتدريس أطفال المسلمين، أو إرشاد كبارهم إن لم تكن فيه مدرسة دينية كاملة، لذلك كانت عنايتنا بزيارة المساجد في بلاد الأقليات المسلمة، وتقديم العون المالي للقائمين عليها، لكي يستعينوا بها في عمارتها.

طلبت من الإمام عبد العلي أن يحدثني بتاريخ هذا المسجد الذي هو أول مسجد في دولة هايتي كلها. فقال: هذا هو أول مسجد في هايتي، بدأت العمل في عام ١٩٨٥ بعد أن أسلمت في كندا، ثم قدمت أرض المسجد هذه تبرعاً مني وابتغاء للأجر والثواب من الله تعالى، وصرت أجمع المال دولاراً دولاراً من المسلمين ومن غيرهم ممن يريدون التبرع لبناء المسجد، حتى اجتمع

لدي مبلغ من المال بنينا به المسجد.



الشارع الذي عليه مسجد بورت أوبرنس

قال: وذلك كله من أموال المتبرعين داخل هايتي، ولم أحصل على دولار واحد من خارج البلاد.

قلت له: ألم تحصل على شيء من المال من البلدان العربية كالمملكة العربية السعودية ؟ فتفى ذلك، فسألته عن السبب فقال: الواقع أننا لم نكن نعرف، ولا نزال لا نعرف حتى الآن كيفية الكتابة لرابطة العالم الإسلامي ولا غيرها من المؤسسات الإسلامية خارج بلادنا، وكان يخيل إلينا أننا إذا فعلنا ذلك نكون قد استجدينا المال أستجداء. قلت له: الأمر ليس كذلك، لأنكم لا تطلبون المال لأنفسكم وإنما لعمارة المسجد، وإخوانكم المسلمون فيهم أناس يريدون أن يدفعوا شيئاً من أموالهم لهذا الغرض النبيل، فتكونون أنتم بطلبكم هذا قد ساعدتموهم على أن يحصلوا على

ما يريدون من بناء المسجد.

وبعض المؤسسات الإسلامية كرابطة العالم الإسلامي لديها مبالغ من المال مخصصة للمساعدة على بناء المساجد، ولو كنتم كنتم للرابطة لكننا نظرنا في طلبكم وساعدناكم بعد أن نتأكد من مشروعكم ومن القائمين عليه.

قال: وقد بنينا المسجد على هيئته هذه منذ عام ١٩٩٥ .

قال: لا يوجد مسجد آخر غيره في بلادنا إلا واحداً في بلدة اسمها (كابا إيشن)، تبعد عن (بورت أو برنس) بست ساعات للذهاب ومثلها في الإياب مع حافلة ركاب صعبة، لأن الطريق جبلي وعمر، وهو أيضاً غير آمن في بعض الأحيان بالنسبة للغرباء أمثالكم .

قال ذلك لأنني سألته عما إذا كان من الممكن لنا أن نراه.

وقد سألته عن الأمن في الطريق، ولم أسأله عن حسنه أو سوءه، لأنني أعلم أنه لو كانت لديهم طرق حسنة لكانت العاصمة أولى بها من قرية نائية، أو حتى لو كانت غير نائية.

وذكر أن عدد المصلين في المسجد يكون بمعدل ٤٥ مصلياً.

ثم استدرك قائلاً: لقد نسيت أن أذكر لك أنني بدأت باتخاذ غرفة واحدة كانت في مكان المسجد للصلاة عندما بدأت العمل الإسلامي في عام ١٩٨٥م، وقد هدمناها وبنينا هذا المسجد في مكانها.

ثم أخذني في جولة قصيرة في المساحة الضيقة حول المسجد ، فأراني بيته الملاصق للمسجد من جهة الغرب ، حتى إن له باباً يفتحه على المسجد ، لأنه كان تبرع بأرض المسجد من أرضه وقال : إنني أرجو أن أتمكن من بناء طابق ثانٍ فوق هذا الأرضي ، حتى أسكن فيه وأوسع المسجد ببيتي الحالي .

فقلت له : إن ذلك لا يكون مناسباً إلا إذا تبرعت بالبيت للمسجد ، وسكنت في السكن الذي تتوي بناءه في الطابق الثاني بصفتك إماماً للمسجد ، بحيث إذا تركت الإمامة سكن فيه الإمام الذي يأتي بعدك ، فلم تطب نفسه بذلك .

فقلت له : إنك يمكنك أن تكتب لنا أو لغيرنا بطلب إعطاء المسجد مساعدة يشتري منها هذا البيت الملاصق ، وهو ليس غالياً ، ويبنى فوقه بيت للإمام تسكنه طول بقائك إماماً للمسجد ، وتأخذ ثمنه مقدماً ، فسر من ذلك .

ورأيت في بيته من الخلف حديقة صغيرة فيها شجرة (أنبه) وهي المانقو كبيرة ، وشجرة نارجيل وهو الذي يثمر جوز الهند ، ثمرة بثمر أصفر ، وهو أثمن وأفضل من جوز الهند الأخضر بالنسبة إلى طيب مائه الذي يشرب قبل أن ينعقد .

المسلمون في هايتي :

عدنا إلى المسجد وجلسنا تحت مروحة كانت دائرة من عدة مراوح في المسجد ، فسألته عن عدد المسلمين في هايتي فقال ما سبق أن عرفت بعضه من قبل ، ولكنه رجل مهتم بهذا الأمر

ومعاصر له. قال: يبلغ عدد المسلمين في هايتي في الوقت الحاضر نحو ثلاثة آلاف، منهم ألف في العاصمة (بورت أو برنس)، والبقية متفرقون في البلاد. قال: وأكثرهم من أهل هايتي الأصلاء من المسلمين الجدد الذين أسلموا في الولايات المتحدة أو كندا، وبعضهم أسلم في ترينداد أو بربادوس.

قال: والفرصة مهيأة لزيادة المسلمين لولا أنه لا يوجد لدينا داعية متفرغ عالم بالعلوم الشرعية، وكذلك لا توجد لدينا كتب إسلامية بالفرنسية، حتى إننا نتمنى الحصول ولو على نسخة واحدة من ترجمة معاني القرآن الكريم باللغة الفرنسية فلا نحصل عليها.

فقلت له: هل كتبتم إلى أحد في خارج بلادكم تطلبون منه ذلك؟ فقال: لا. فقلت: إن ترجمة معاني القرآن الكريم موجودة عندنا في رابطة العالم الإسلامي بكميات وافرة. ولكن الذي أعرفه أن سفارات المملكة العربية السعودية، ومنها السفارة في واشنطن والسفارة في فنزويلا لديها نسخ منها ومن ترجمة معاني القرآن الكريم باللغة الإنكليزية، لأنها تطبع في مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف في المدينة المنورة، وتوزع بواسطة جهات عدة، منها رابطة العالم الإسلامي والسفارات السعودية.

وعاد إلى الكلام على المسلمين في هايتي وأن أكثرهم من أهل البلاد، فقال: ومن المسلمين أقلية من غير أهل البلاد، منهم أفارقة وعدد قليل من العرب.

والشيخ الإمام (عبد العلي) هو (هايتي) الأصل، ويتكلم

الإنكليزية بطلاقة، لأنه ذهب إلى كندا وعمل فيها خمس عشرة سنة، ويحمل الآن جواز سفر كنديا، ولكنه يفضل العيش في هذه البلاد إماماً للمسلمين.

وعندما وجهت إليه الدعوة للاشتراك في المؤتمر الإسلامي العالمي الذي ستقيم رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة، ذكر أنه يفضل أن يحمل الجواز الكندي، وأن تمنح له سمة الدخول إلى المملكة من سفارتها في كندا، لأنه يريد أن يذهب إلى كندا لبعض شأنه في وقت من الأوقات.

وقد سر من تقديم الدعوة إليه، وقلت له: إننا لا ندعو إلا رؤساء الجمعيات الإسلامية، وقد وجهنا الدعوة إليك بصفتك تلك، لا بصفتك إماماً للمسجد، لأن أئمة المساجد كثير، والمقرر عندنا أن ندعو رؤساء الجمعيات الإسلامية فقط، وكنت عرفت من غيره أنه هو رئيس الجمعية الإسلامية بانتخاب من المسلمين، كما أخبرنا بعض المسلمين بذلك.

هذا وقد ودعناه على أمل الاجتماع به وبيع بعض أعضاء الجمعية الإسلامية في الساعة السابعة من مساء هذا اليوم في الفندق، ويقع المسجد في حي (١٨) على شارع غير واسع من الحي.

ثم عدنا إلى الفندق وكنا قد اتفقنا مع الذي استأجرنا منه السيارة أن يبقى في المسجد نصف ساعة نعود معه بعد ذلك إلى الفندق، وقد لبثنا أكثر بقليل من نصف ساعة بموافقته.

وحالما تركنا شارع المسجد عائدین إلى الفندق وصلنا إلى

شوارع تكثر فيها الحفر الصغيرة التي تكون فيها بعض مياه مستعملة مع كثرة المشاة في الشوارع.

ورأيت العادة الإفريقية الأصيلة في حمل الأشياء الثقيلة على الرأس وليس على الظهر أو الكتفين على سبيل المثال، ولا يمكن للمرء إذا رآهم ألا أن يعتقد أنه في إفريقية بين أناس أفارقة، إلا أنني أنا الذي خبرت إفريقية وألفت عنها أكثر من خمسة عشر كتاباً، طبع عشرة منها، لا أعرف بلداً شوارع عاصمته في هذه الدرجة من السوء يمكن أن أضرب به المثل لها.

وعندما رأيت بعض السيارات الجديدة عندهم جزمت بأنها سوف تستهلك بسرعة لسوء حالة الطرق وقلة الصيانة، ولكنني ذكرت (كوبا) وسياراتها القديمة، بل الموغلة في القدم، حتى أنني سافرت إلى قرية فيها اسمها (بلايا دي روساريو) وتبعد مائة كيلو متر عن هافانا على سيارة بليموت طراز (موديل) ١٩٥٠م، ومع ذلك يصلحونها ويسيرونها لأنهم لا يجدون غيرها إذ لا يستطيعون تحصيل ثمن سيارة متوسطة، فضلاً عن الجديدة، لأن دخول الأفراد قليلة، ومع ذلك هي محدودة لا يستطيع الفرد أن يحصل معها على دخل آخر.

وقبل الوصول إلى فندقنا مررنا بقصر رئيس الجمهورية، وكان قصر الرئيس دوفالييه الذي يتهمة بعض الناس بأنه ساحر يحكم بلاده بالسحر، ويتمتع هو وحاشيته بالمال والرفاهية، على حين كونه أهمل مصالح شعبه ولم يبال بترقية الشعب، ولا بنفعه،

ولذلك سقط وطرد من البلاد، ويقيم الآن في فرنسا.

والقصر أبيض الطلاء واسع المساحة، يقع في حضن الجبل الأخضر العالي الذي يطل على هذه العاصمة من جهة الجنوب، وسوف نصعد إليه ونقف على قمته عندما نقوم بالجولة بعد ذلك.

جولة واسعة في مدينة بورت أو برنس:

قصدنا أن تكون هذه الجولة واسعة لذلك طلبنا أن تكون مدتها ست ساعات، وأن تشمل العاصمة وضواحيها والصعود إلى الجبل الذي يطل عليها، وأن تكون من مكتب سياحي رسمي ينظم الجولات السياحية، ولكن نظراً لقلة السياح فقد كانت الجولة خاصة بنا يرشدنا فيها ولا نقول: يقودنا مرشد سياحي، وإن شئنا قلنا: (قائد سياحي)، ولك الخيار أن تجعل الكلمة إنكليزية بمعنى مرشد، أو عربية بمعنى قائد من القيادة، فيكون كالذي يقود بك بمعنى يأخذ بمقودها، وهو الرسن أو الحبل الذي يربط برأس الدابة وتوجه به.

تقرر أن تستمر الجولة من الثانية ظهراً حتى السادسة والنصف مساء موعد غروب الشمس.

الميدان الوطني:

يقع فندقنا على أول شارع متفرع من ميدان واسع مهم هو أهم ميدان في المدينة (بورت أو برنس)، أذ يقع عليه قصر رئيس الجمهورية، كما يشرف عليه مبنى (الكاتدرائية) وهي الكنيسة

الكاثوليكية الكبيرة القديمة، وهذان المبنيان هما أهم المباني في المدينة بالنسبة لما يراه السائح من المباني كما سبق.

نصب تحرير العبيد :

وقف السائق عند ركن من ميدان لم نلاحظ ما فيه من قبل، وقال وهو يشير إلى حائط مؤلف من قسمين، ولكنه معتنى به، قد بلطوا ماحوله ورفعوه بدرجات غير عالية: هذا هو رمز تحرير العبيد. إن الاسترقاق والاستعباد هو بلية هذه البلاد، وقد انتفض شعبنا على مسترقيه. وذلك تحت الحكم الفرنسي في وقت مبكر من تاريخ استقلال الشعوب المستعبدة فقال الاستقلال عام ١٨٠٤ ، فكان بذلك أول شعوب البحر الكاريبي استقلالا.



رمز الاستقلال وتحرير العبيد في بورت أوبرنس

قال: وحالما استقل الشعب حرم الاسترقاق، وأقام هذا النصب لتحرير العبيد وأسماه (لك ماوو)، وكان ذلك في أول يناير

من عام ١٨٠٤.

قلت: من الذين كانوا يسترقون العبيد؟ قال: البرتغاليون والإسبان. قلت له: وماذا عن الفرنسيين؟ قال: لم يكونوا يفعلون ذلك.

وأوضح كلامه قائلاً: إنني أقصد أنهم لم يكونوا يذهبون الناس من إفريقية ويبيعونهم عبيداً في هذه المنطقة وغيرها من مناطق الأمريكيتين الشمالية والجنوبية.

هذا والدليل إفريقي الأصل مثل غيره، مديد القامة، يسوق سيارة نصف حافلة، ليس فيها إلا نحن، ويتكلم الإنكليزية مع أنه قال إن اللغة الرسمية هنا هي الفرنسية. وهناك لغة محلية تسمى لغة (الكريول) عمادها الفرنسية المحرفة.

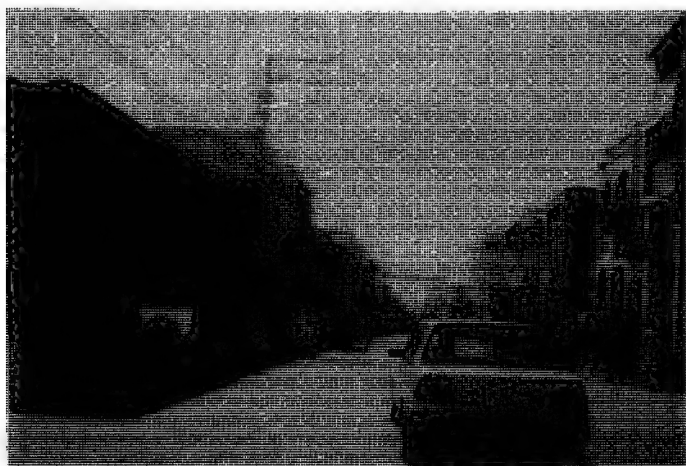
البحث عن العرب:

لم ينوه الإخوة المسلمون بوجود ظاهر للعرب المسلمين في هذه البلاد، ولم يذكرها غيرهم من العرب، وقد تعودنا على أن نعرف أن المسلمين لا يعرفون شيئاً عن العرب المسيحيين، لأنهم يرونهم بالنسبة إليهم كما يرون الأوروبيين، بل وبعضهم يراهم كما يرى اليهود.

وهذا ظاهر من كونهم لا يخالطونهم، ولا يزورونهم، ولا توجد بينهم وبينهم رابطة من دين أو لون أو لغة.

وقد تعودت أن أبحث عن العرب المسلمين وأخبارهم عند

العرب المسيحيين إذا لم يتيسر لي التعرف على العرب المسلمين، لأن العرب يعرف بعضهم بعضاً، ويتعاملون في المهاجر فيما بينهم سواء كانوا مسلمين أم مسيحيين، لذلك عندما تركنا الميدان الوطني ودخلنا مع شارع اسمه (ويد اميراك) تجاري مزدحم فيه الحوانيت متلاصقة، ولكنه مع ذلك لا يخلو من بسطات قليلة، وهي البضائع التي تنتشر على الأرض، سألت الدليل عن العرب ايجاد منهم أحد في هذه المدينة ؟ فاستنكر السؤال وقال: أتقصد السوريين؟



شارع في قلب الوسط التجاري في مدينة بورت أوبرنس

قلت إنني أقصد العرب كلهم من سوريين ولبنانيين وفلسطينيين إن وجدوا، فأوقف السيارة فوراً في شارع (ويد اميراك) المزدحم هذا، وأشار إلى الشارع، وقال: إنه أهم شارع تجاري في المدينة، وإن اسمه (جي جي دي سالين) وقال: وهو بوليفار بمعنى شارع مهم، كل المحلات التجارية المهمة فيه هي للعرب. قلت له:

فأبقي من النظر إلى هاتيتي

كيف نتعرف عليهم ألا تأتي معنا؟ فقال: لا أستطيع أن أترك السيارة، ولكن كل من رأيتموه هنا أبيض هو عربي، إنه لا يوجد أحد من البيض في هذه الأسواق التجارية غير العرب.

تركنا السائق عند السيارة وذهبنا وحدنا ونحن خائفون على المصورات التي علقناها بأيدينا من الانتهاب، وكان الدليل قال: إن هذا قد يحدث ولكنه ليس محتملاً.

فكان أول من وقعت عليه أعيننا شيخاً في السن متهدل الجسم، منتفخ الجبين، كأنما هو عليل الجسم، وهو في محل تجاري ليس كبيراً بالنسبة إلى المحلات التجارية التي يملكها العرب هنا، وبضاعته خاسرة، لأنها كلها من الخمر، وهذا هو الذي يبيعه لا يبيع غيره، وسألناه عن العرب هنا، ولم نكد نفعل ذلك حتى أغلق الحديث فيه قائلاً: وهوشير إلى محل تجاري كبير مقابل محله: ذاك محل للعرب، اسألوهم. فتركناه وخمره. مستعيزين بالله من شرها وشره، ودخلنا المحل التجاري الضخم فإذا به (سوبرماركت) وهو كما قال السائق وقال غيره مثل ذلك بعده يدل على أن العرب يملكون المتاجر الكبيرة، وأكثرها أسواق مركزية مما يسمى بالسوبرماركت .

وجدنا في المحل خمسة من العرب، أهمهم امرأة جالسة إلى صندوق المحل تقبض النقود، وهي نصف أي في منتصف العمر، وغير بعيدة منها امرأة شابة عربية وثلاثة رجال أحدهم شاب.

حييناهم بما يليق بهم من تحية تلقى لغير المسلمين وهي (بون

جور) بمعنى يومكم طيب، وهي تقال لتقوم مقام (صبحك الله بالخير)، مع أن المراد به حرفياً يومك بخيراً أو طيب، لأن جور هو يوم. وخشيت أن يقولوا في الجواب كما يقول الممثل الهزلي إسماعيل ياسين في جوابها: (بنجرك الله بالخير) على وزن صبحك الله بالخير، ولكنهم ردوا قائلين: أهلاً وسهلاً. قلنا لهم مبادرين لأنهم كانوا مشغولين بالبيع والشراء، وإن كان في المحل عدد من العاملين السود يساعدونهم: إننا عرب جئنا إلى هذه السوق لنرى العرب ونتعرف فيه عليهم ونعرف من أي البلاد هم.

ولم يسرعوا إلى الحديث إلا فتى منهم كلمنا بعريية فصيحة وسط، تملل ظاهر من الآخرين الذين بدا أنهم لم يعرفوا المقصود من السؤال قائلًا: العرب هنا كثير، وكلهم تجار، وهم من فلسطين وسوريا ولبنان، ولكن الفلسطينيين أكثر، وكلهم تجار لهم (سوبرماركت).

قلت: كم يبلغ عددهم؟ قال: أظن أنه يصل إلى ألف ومائة أو ألف ومائتين، ولكن حالتهم كلهم مليحة، وكان يتكلم والآخرين ينصتون إلا أنه بدا لنا أنهم لا يحبون أن يتكلم.

فقلت له: وماذا عن العمل التجاري في هذه البلاد، وهل هناك مشكلات تعترضكم؟

فقال: لا. الناس هنا يحبون العرب، وليس لدينا أي مشكلة.

كان الفتى منسجماً في الحديث، وهو في نحو العشرين من عمره. ورأيت التملل على وجه المرأة الكبيرة والرجل الكبير،

فأبقي من العطر إلى هابتي

فقلت: هل العرب فيهم مسلمون؟ قال: معظمهم مسيحيون، والمسلمون قليل.

قلت: كم عددهم؟ قال: يمكن عشرة فلسطينيين، ونحن مسيحيون فلسطينيون، وكان ذلك ظاهراً عليهم إذ الرجل يعلق على صدره سلسلة في أسفلها صليب.

وهنا تدخل الرجل الكبير فقال في عصبية: نحن لا نوافق على هذا الكلام، ما في عندنا مسلم ولا مسيحي، هنا عرب، ولا نقبل أن تسأل عن المسلمين والمسيحيين، أنا في بنما لم أقبل أن أقول: إنني مسيحي، لأن العرب يتعاونون بلا تفريق.

وتدخلت المرأة بما معناه: إننا لا نريد الاستمرار في هذا الكلام. فسألت الفتى عن مكان المسلمين الفلسطينيين؟ فقال: في (ديلماس).

فطلبت منهم أن ألتقط معهم صورة تذكارية في محلهم فقال الرجل الكبير: ماذا تعمل؟ أتريد أن تنشر ذلك في جريدة أو مجلة؟ فقلت له: لقد عرفت، إنني رجل كاتب، فقال: لا، نحن لا نريد ذلك. قال ذلك متضامناً.

فشكرتهم وبخاصة ذلك الفتى، وخرجنا من عندهم فرأينا محلاً تجارياً كبيراً فيه رجل أبيض على حد تعبير الدليل السياحي، فدخلنا محله وصبحناه بالخير فرد متجهماً. فقلنا: إننا عرب، زرنا هذه المدينة ونحب أن نتعرف على بعض العرب هنا، فنظر إلينا شزراً ووجهه يتميز غضباً، فخرجنا وتركناه.

وهنا عرفت من طبيعة العرب المسيحيين في هذه البلاد غير ما عرفت من طبيعتهم في أقطار أخرى من أقطار الكاريبي والقارة الأمريكية الجنوبية، حتى في الدول المجاورة لهايتي وهي سانتو دومنغو، فقد دلتني على المسلمين فيها وعلى عنوان مصلى لهم أحد التجار المسيحيين. وقد ذكرت ذلك في كتاب: « بورتوريكو وجمهورية الدومنيكان » من سلسلة الرحلات الكاريبية.

السوق الوطني للخضرات:

تركنا السوق التجاري المهم والمحلات العربية الكبيرة فيه، واخترقنا منطقة نوه الدليل بأنها منطقة المصارف (البنوك)، ولم أرها فخمة ولا متناسبة مع أهمية المصارف، ثم خرجنا إلى شارع طويل يكاد يكون مستقيماً ولكن ليس فيه من المزايا إلا الطول والسعة النسبية، وقال: هنا السوق الوطني للخضرات والفاكهة.



السوق الوطني للخضرات والفاكهة في بورت أوبرنس

أوقف سيارته دون أن يبرحها على خلاف الأدلاء الذين عرفتهم من قبل، الذين كانوا يرون من واجبهم مرافقة السائح، ولكنه اعتذر بأنه لا يستطيع أن يترك سيارته، وأظنه غير صادق هنا، لأن موقف السيارة مناسب، ونريد أن يكون معنا للأمن والترجمة إذا احتاج الأمر إلى ذلك، مع أنهم معظمهم يعرفون شيئاً من الإنكليزية مما يتعلق بالأمور المعتادة.

وجدنا السوق طويلاً ممتداً أكثر ما فيه الملقوف أي الكرب، ونوع ضخمة من البرتقال يشبه الأترج الصغير، وبصل كثير منوع، ورأينا فيه أنواعاً من الخضرات لا نعرفها على كثرة ما رأيته منها في أنحاء العالم، وجميع الموجودين فيه من السود، وليس فيه أي شخص آخر من لون آخر إلا نحن، وقد علقنا مصوراتنا (الكاميرات) بأيدينا، فأصبح منظرنا ظاهراً بأننا من السياح، ولسنا من المقيمين في البلاد، وكان معظم الباعة فيه من النساء، وليس فيه معهم من الرجال إلا القليل.

وكان كل من رأيناهم يحملق فينا، وبعض البائعات يعرضن بضاعتهم من الخضرات، وأذكر أن اثنتين من جميلاتهن كن يحادثن بفنح يشبه المغازلة في هذا المكان العام.

وأردت أن ألتقط صورة فصاحت عجوز بائعة: لا تأخذ الصورة، ولكن شابة كانت تحملق في قربت منى حتى كاد وجهها يلاصق وجهي وهي تقول بفنح ودلال: خذ الصورة فالتقطت الصورة وسألتها عن قيمة هذا النوع الكبير من البرتقال، فقالت:

ثلاث بدولار، فقلت: أربع. قالت: أربع قلت: خمس بدولار. قالت: خمس، وظهر أنها تريد الحديث معي.



عاملات في سوق الخضرات في هايتي

وأخرى التقطت صوراً لمجموعة من الباعة ومعهن بضائعهن، فسارعت تأتي وهي بعيدة، وتقترب مني حتى خجلت من ذلك، وهي تتظر بما يشبه الاستغراب والاستعجاب.

ورأيت السوق متفرعاً لفروع في الداخل أيضاً، وليس مقتصرأ على الشارع العام، ولكنني خفت على مصورتي في الأسواق الداخلية من الانتهاب، وتبين لي بعد ذلك أن خوفي ليس في محله، وأن القوم مؤدبون وراقون، ولا ينظرون إلى ما يسمونه الأبيض بعين الشك والريبة، فضلاً عن كونهم لا يحاولون استغلاله، لأنني رأيتهم يعرضون علينا بضاعتهم في الثمن الذي يعرضونها به على مواطنيهم.

وقد عرفت مما رأيته أنها بلاد منتجة للفاكهة والخضرات، وبخاصة الكرنب عندما رأيت سيارات محملة بهذه الخضرات، معها رجال يبيعون بالجملة على الباعة الذين أكثرهم من النساء.

وقد طاب لي التجول في هذا السوق لحسن التصرف من أهله، مما لا يتناسب مع منظر بلادهم، ولا عدم النظافة الشائعة في السوق.

ولم أستطع البقاء أطول من ذلك مع رغبتي فيه، شحاً بالوقت، ولذلك لم أسال عن أسعار البصل والطماطم الذي لم أراه كثيراً، مع أن هذه البلاد الكاريبية أو ما قرب منها هي موطن الطماطم الأصيل الذي عرفه العالم القديم منه، ولم يكن موجوداً فيه من قبل.

كنت أود محاورة الناس، ومعرفة ما يفكرون به، وبخاصة حول حالة بلادهم الآن من الإهمال في المرافق، ولكن الجو غير مناسب.



المؤلف في سوق الفاكهة والخضرات في بورت أوبرنس

فأبقي من الصغر إلى هايتي

الماليكون:

قال الدليل: إن هذا الشارع هو شارع وطني، وإنه من أهم الشوارع عندنا، لأنه يماشي البحر ويمتد لمسافة طويلة، ثم أشار الى مبنى قديم قائلاً: انظر إلى تاريخه مكتوباً عليه، إنه في عام ١٨٢٨ وهو إدارة الميناء، وقد رأيت ذلك التاريخ واضحاً عليه، وهو مقابل للميناء.

فقلت له: أهذا هو (الماليكون)؟ قال: نعم، و(الماليكون) اسم للشارع الممتد على شاطئ البحر إذا كانت عليه متاجر وأبنية، وهذا اسم إسباني سمعت به في عدد من البلدان التي تتكلم الإسبانية، وأول ما سمعت به كان في مدينة (قواياكيل) كبرى مدن الإكوادور وهي واقعة على المحيط الهادئ، وقد ذكرت ذلك في كتاب: «رؤية جديدة للجانب الأبعد من أمريكا الجنوبية». وآخر ما رأيته في كوبا قبل أيام قليلة، فكان (الماليكون) الكوبي ممتداً على امتداد البحر، نظيفاً جيد التزفيت، وإن كان رصيفه غير ناعم، ولكن الأهم مما يميزه أنه مرتع الحسان، ومربع أهل المدينة بعد أن تغيب الشمس، ويطيب الجو، يخرجون إليه زرافات ووحداناً، وقد تخففت حسناواتهم من اللباس، بل لم تبق إلا ما لا ينطبق على قياس من الملابس، فيثرن أشجان الغريب، حينما يسارعن إلى التحدث معه وهن على تلك الحالة، دون أن يكون في ذلك ما يريب، اللهم إلا إذا كن وأمهاتهن وأخواتهن لا يرين من الريبة مانراهم. بل كل يعمل فيها على هوام.

وليس أسهل عليهن، بل يظهر أنه ربما كان أحب إليهم من أن يتحدث غريب عن غانية من غانياتهم، ولورأوا أن ذلك الحديث سيجر إلى شيء طيب أو خبيث، فإنه لن يثير اهتمامهم، فضلاً عن أن يثير استفهامهم.

ولقد رأيت العالم كله، فوجدت أن الكويتيات من سوداوات وبيضاوات هن من أجمل أهل الأرض، ولا أدري سبب ذلك، مع التنويه بأن المقصود بذلك هو الملاحظة وحسن المظهر، وليس مقاييس الجمال العالمية التي تختلف نظرة بعض الشعوب إليها، والتنويه أيضاً بأن إقامتي في كوبا كانت قصيرة، وأنه لم تتح لي مناسبة الحديث مع الكويتيات، وإنما هي لمحات ونظرات، نسأل الله تعالى أن يغفر لنا السيئات.

سوق الفحم:

من الطريف بعد سوق الخضرات الممتدة أن ترى منطقة من الشارع هي سوق الفحم، وقد تركته بلدية المدينة خالياً من الإصلاح، فصارت أرضه سوداء حالكة السواد من رماد الفحم، بل ومن فتات الفحم، وقد ركب غبار الفحم ماحوله من حوانيت أشبه بالصنادق وهي مبنية من الصفيح والخشب، ومن ذلك ملابس الباعة فغدت سوداء أيضاً، والطرافة في أنك لا تستطيع أن تميز على البعد أطراف البائع من رجليه ويديه ووجهه من ثيابه وسط سوق الفحم الأسود، وهذا الإهمال من الحكومة لا يجوز في حق هذا الشعب الصبور المتوثب.



شارع واسع في بورت أوبرنس عاصمة هايتي

وهذا كله في (الماليكون) أو شارع الشاطئ الذي يسميه البرازيليون برايا بمعنى الشاطئ وهي بالاسبانية (بلايا) - باللام - إلا أن شارع الشاطئ فيها اكتسب هذه التسمية (الماليكون)، لذلك عندما رأيت سوق الخضرات ومن فيه، ثم سوق الفحم في مثل هذا الشارع الذي هو قطعة شاهدة على الإهمال وعدم العناية تذكرت قول الشاعر:

لشَّتَان مابين اليزيديين في الندى يزيد سُلَيْم والأغرّ ابن حاتم
ويزيد سُلَيْم هو شارع الشاطئ هذا، والأغر ابن حاتم هو
شارع الشاطئ في كوبا ومعه شارع الشاطئ في ريودي جانيرو
المسمى أيضاً (كوبا) ولكن بزيادة كابانا فهو (كوبا كابانا).

وكلمة الأغر تعني ذا الغرة، والغرة هي البياض في جبهة
الفرس ونحوه.

أما الماشون في هذا الشارع والعاملون فيه إذا قورنوا بأولئك
فإنهم يصدق عليهم قول الشاعر:

أما الخيام فإنها كخيامهم وأرى نساء الحيّ غيرنسلها
ولم أرَ في شارع الشاطئ الهايتي هذا أي عود أخضر
مغروس، وإنما رأيت شجيرات قصيرة وحشية قد علاها الغبار حتى
ظننت أنه قد خنقها، وإنما الشيء الذي يطرزه مياه سود في جانبه
كانما جاءت من بعض البيوت التي في الداخل.

وأما غباره فإنهم ذكروا أن هذا الوقت ليس موسم المطر.

ومن الغريب أن الناس كثير في هذا الشارع، حتى في
الأماكن التي ليس فيها بيع ولا شراء فيه، وهم كلهم من المشاة
المجدين في السير، ولم أرَ جالسين أو متسكعين فيه.

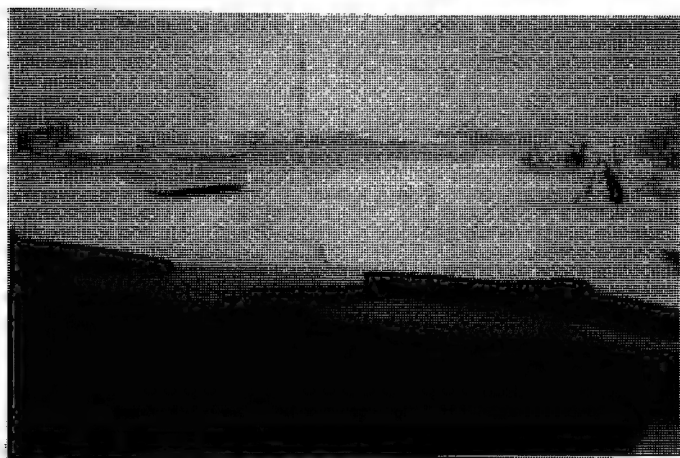
ثم وصلنا إلى سوق شعبي آخر في هذا الشارع، والظاهر أنه
وجد في هذا القسم منه لخدم سكان المنطقة الذين يصعب عليهم
الذهاب إلى السوق الأول دون ركوب، إلا أن هذا الأخير فيه مع
الخضرات أنواع آخر من السلع، رأيت بعض الحمالين فيه يحملون
الأشياء الثقيلة على عربات من الخشب يجرونها بأنفسهم، مثلما
يفعل أهل بلدة كلكتا في الهند عندما يحملون البضائع الثقيلة
الوزن على عربات يجرونها بأنفسهم، ولكنني رأيت أكثر من
واحد يكون مع الآخر يعاونه في سحب العربة يدفعها من الخلف
إلى الأمام، وقد تكون تلك زوجته، أو امرأة أخرى.

هذا في الهند، وقد ذكرت ذلك في كتاب: «شرق الهند»

وفي كتاب: « مقال في بلاد البنغال »، وكلاهما مطبوع، وأما هنا فإن الرجل يجر العربة عليها حملها بنفسه. ولا شك في أن السبب في ذلك هو الفارق في القوة الجسمية بين أهل البنغال في الهند وبين أهل هذه البلاد، فهؤلاء الأفارقة الكاريبيون أقوى أجساماً وأكثر تحملاً.

وانطلقنا مع هذا الشارع الذي ليس فيه ما يفخر به أهله رغم تأكيد الدليل على أن الحكومة تعتبره الشارع الوطني، وقلت له عندما رأيت سوء الشارع: أين الحكومة ؟ لماذا لا تصلح هذا الشارع ؟

فقال: الحكومة الأولى فاسدة، والموجودة الآن أحسن منها. ولكنني لم أرَ من آثارها وعملها للبلاد شيئاً حسناً، إلا أنه قال: إنه لا يعرف سبب إهمال الحكومة لهذا الشارع.



شارع واسع مغبر في مدينة بورت أوبرنس

ولم يذكر شيئاً عن إهمال الحكومة لبقية الشوارع، بل لبقية المدينة، إلا أنني سألته بعد ذلك أكثر من مرة عن السبب ولماذا يسكت الشعب على هذه الحكومة مع أنهم يقولون إن بلادهم ديمقراطية تنتخب السلطات فيها انتخاباً، ففتح يديه كليهما، وزم شفثيه ثم أعاد يديه إلى وضعهما الطبيعي وكأنه يقول: لا أدري.

وقد استمر سيرنا في شارع الشاطئ، وزاد فسادُه حتى صار وسطه يصعب اجتيازه حتى على السائقين المغامرين بسياراتهم، فصارت السيارات تلجأ إلى جانبه قرب مجرى صغير للمياه الآسنة تفادياً للحفر التي في وسطه، وصار ركاب سيارات الشحن الصغيرة التي جعلوها سيارات (تاكسي) يرتفعون مع ارتفاع سياراتهم، وينخفضون مع انخفاضها، وهم يتشبثون بها، وذلك سهل يسير على من يكون في جانب منها، أما من يكونون في وسطها والأصل ألا يكون أحد في وسطها، فلا أدري ماذا يفعلون.

ومع ذلك نسي أو تناسى السائق حالة هذا الشارع فقال: الحكومة تعتبر هذا الشارع الشارع الوطني الأول.

أما البيوت عليه فإن أكثرها من طابق واحد مبني من لبن الإسمنت أو الحجارة.

وقد صرنا نخوض في غبار الشارع الذي أثارته السيارات إلا أن سيارتنا جديدة معدة للجولات السياحية يفلق زجاجها كله، وقد فعل السائق ذلك وأشعل مكيف الهواء فيها فصرنا وكأننا في

جنة وسط شقاء الآخرين.

استحالة المرور:

كان السائق قد قال ونحن نسير على شارع الشاطئ الذي يفصل بينه وبين البحر فاصل ضيق من أبنية أو أسوار، وأحياناً من فراغ: إنني أسلك بكم في هذا الشارع لتروا طوله، ثم أسير بكم على شاطئ البحر.

فقلنا ونحن نتشبه داخل السيارة بما تستطيع أيدينا الوصول إليه لتفادي أثر القلقة والارتجاج: إن هذا جيد. وسار ولكنه لم يستطع حتى ذلك السير المتعب المعتاد في هذه البلاد، إذ ركد السير، ووقفت السيارات وقد ملأت الشارع، إذ السيارات هنا تعتبر كثيرة بشكل لافت للنظر، مع مظاهر الفقر على بعض السكان.

نجيريا الصغيرة:

لا أذكر أنني رأيت مثل المرور في مدينة (بورت أو برنس) إلا في مدينة لاغوس العاصمة السابقة لجمهورية نيجيريا فالسيارات هناك كثيرة كثرة لافتة للنظر، بل محزنة في بعض الأحيان، لأن المرور قد يركد فيها، أو تتعطل سيارة أو سيارات فتسد الطريق، أو تكون فيه عوائق من حفر أو عمل أو نحو ذلك، ولكن حالة الشوارع في نيجيريا في عاصمتها السابقة لاغوس وفي رصيفتها (أبادان) جيدة، وليست مثل هذه (النيجيرية) الكاريبية، غير أن الشيء المشرق في هذه البلاد (هايتي) أن السائقين رأيتهم على درجة عالية من الوعي بقيادة السيارات، ومن التسامح فيما بينهم في

فايتي من المنظر إلى هايتي

أفضلية المرور من عدم التشاجر أو التشاحن في ذلك، بخلاف
نيجيريا في هذا الأمر.

فيمكن إذا تلخيص الأمر بأن وضع الشوارع، بل المدن في
نيجيريا أحسن من هايتي، ولكن أخلاق الناس ومعاملتهم في هايتي
أحسن منها في نيجيريا .

وإذا أراد القارئ الكريم أن يطلع على شيء مما كتبتة عن
نيجيريا فما عليه إلا أن يطلع على كتاب: « قصة سفر في
نيجيريا ». الذي طبعته قبل سنين في مجلدين.

وقف المرور فقال السائق وكأنه يتحدث عن أمر معتاد
متكرر له: إننا لن نستطيع مواصلة السير، لأن المرور سيظل
هكذا مدة طويلة، لذا أرى أن نترك الذهاب إلى شاطئ البحر.

ثم تخلل بسيارته وسط زحام السيارات إلى شارع جانبي ضيق
لا يفترق في سوء أرضه عن ذلك الشارع العام، وسار معه وهو يقطع
شارعاً ضيقاً بعد شارع ضيق آخر ويقول: هذا أحسن من كوننا
نتعطل في الشارع العام، ولا أراني أستطيع أن أذهب بكم إلى
الشاطئ، فقلنا له ونحن نرى معاناته: إن الأمر كما ذكرت.

وخرج من تلك الشوارع الضيقة التي يصح في بعضها أن
يوصف بأنه زقاق لضيقه وقصر مسافته إلى شارع واسع بدأت
الحكومة في إصلاحه، فصبت العازل بين السيارات الذهاب
والآية بالإسمنت على هيئة أصل الجدار الضيق، ولكن كأنما
بدا لها أن تتركه فتركته هكذا بدون أن يكون فيه عمال أو

سيارات أو معدات ثقيلة لإصلاحه، ولو كان الأمر مقتصرًا على سوء الشارع فقط لهان، ولكن السيارات وقفت فيه أيضاً وبخاصة واحدة وقفت في طريقه فصار يلحّ عليها ببوق سيارته من دون أن يكون لذلك أي صدى، ولكن الرجل لم يتأفف وإنما تأففنا نحن، وانتظر حتى تحرك فقال صادقاً: إن المرور في هذا الشارع قد تعقد أيضاً كما ترون، وليس من المصلحة أن نظل واقفين فيه، وسوف أذهب مع غيره.

وهكذا دخل مرة أخرى إلى شوارع ضيقة في بعضها زفت قد تكسر وتخرق ولم يصلح.

المنطقة المرتفعة:

بدا السائق يصعد بسيارته إلى منطقة مرتفعة من العاصمة، ولكن السيارات لم تقل في الأزقة والشوارع الضيقة التي صار يسير فيها.

وكنْتُ أقول له: إنني أريد أن أكون في مكان مرتفع أستطيع أن أرى منه المدينة أو معظمها والتقط لها أو بعضها صورة منه وهو يقول: نعم، نعم، لا يزيد على ذلك، وقد أعجبت بسعة باله، بل رحمته من هذا المرور المحطم للأعصاب، ومن إلحاحي عليه فسكت.

تقع العاصمة (بورت أو برنس) على ساحل البحر، ولكن الساحل نفسه ضيق لذلك امتدت بيوتها إلى تلال على أقدام جبل عالٍ، ثم صعدت مع صعود تلك التلال إلى جبل أيضاً.

فأبقي من السفر إلى هايتي

وكأنما كانت قد شهدت عزاً قديماً إذ حسن منظر البيوت الواقعة فوق التلال بالنسبة إلى البيوت الواقعة بقرب البحر، وقلّ الغبار، بل عدم من بعض الحارات لأن الشوارع صارت مزفتة، وإن كان زفتها أصبح بحاجة لإصلاح وترقيع.



شارع واسع في بورت أوبرنس

وكان أول التحسن في حي يقع في حاشية حي (ديلماس) الذي كان يعتبر جيداً في السابق، وأسماء (ديلماس الداخلية) فوقفت في مكان مرتفع عن البحر والتقطت منه صورة للحي وما بعده إلى شاطئ البحر، وفوق ذلك الجبل المشرف على المدينة، وذلك من جانب من الحي حسن الشوارع.

حي ديلماس:

كان الشاب الفلسطيني الذي تحدثنا إليه في المتجر العربي في القلب التجاري للمدينة قد ذكرنا أن في حي ديلماس رقم ٢٠

بعض التجار العرب من فلسطين فيهم مسلمون، فطلبنا من السائق أن يذهب بنا إلى متاجر ذلك الحي الذي كان حياً راقياً جيداً من المدينة، وهو إلى ذلك كبير واسع، ولكننا عندما رأينا معاناته من الشوارع وصعوبة المرور، وإهمال الحي حتى إن القمامة كانت موجودة متروكة في الأماكن المتسعة من شوارعه تركنا مطالبته بالذهاب إليه، وتركناه يسير على سجيته.

وقد عجبت هنا كما عجبت في بلاد متخلفة أخرى تشكو من البطالة وعدم وجود العمل للعمال فيها وبخاصة في المستوى المتدني من الدخول. ومع ذلك يرى المرء القمامات والنفايات متروكة في الشوارع والأماكن المتسعة في الأحياء لا ترفع فتبعد عنها، وإنما تنتظر شخصاً شهماً يوقد فيها النار لكي يصغر حجمها ويتلاشى فيقل أذاها، ولكنه يؤدي بدخانها ثم برمادها أيضاً، فأقول في نفسي: لماذا لا تكلف الحكومة بعض الشبان العاطلين عن العمل بذلك إذا لم تكن لديها سيارات، فإن بعض أرباب السيارات يمكن أن يعملوا في رفعها لا سيما أن السيارات في مثل هايتي هي كثيرة.

وقد يقول قائل: إن هذا من سذاجة التفكير، فالعمال يحتاجون إلى رواتب، والقمامات تحتاج إلى أجرة لنقلها، فأقول: إن ذلك صحيح، ولكن ألا يمكن أن تفرض الحكومة ضرائب على أرباب البيوت والمتاجر قليلة تكفي لإراحتهم من الأوساخ والأقذار، وعليها أن تفعل مثل ذلك بالنسبة إلى منع تسرب المياه المستعملة إلى الشوارع في الأزقة، وذلك مما تفعل الحكومات الأخرى في آسيا

فليأتي من المصفر إلى هايتي

وأمریکا الجنوبية وغيرها من البلاد ذوات الموارد الأولية الشحيحة.

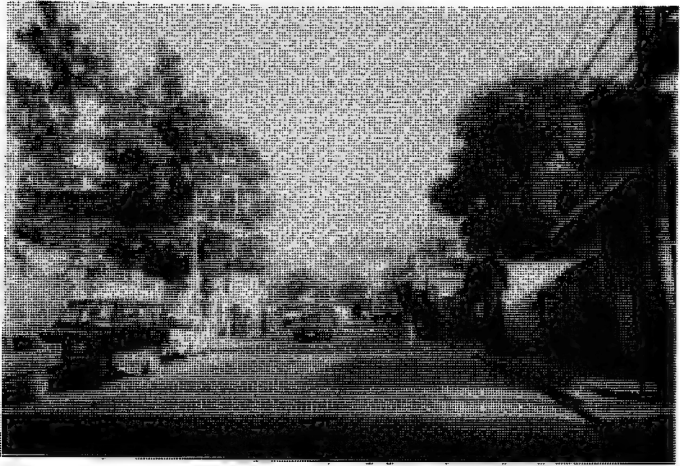
وقد يقال أيضاً: بأن الشعب فقير لا يملك ما يدفع من ضرائب، وهذا غير صحيح في حالة هذه البلاد، لأننا نرى السيارات الجديدة قد ملأت مع السيارات الأخرى القديمة شوارع المدينة، وإنما الأمر هو أمر سوء إدارة، أو عدم محاسبة المسؤولين عن تقصيرهم.

وقد بحثت هذا الأمر الذي كان لا يزال مسيطراً على ذهني بعد صلاة الجمعة مع الإخوة العرب المسلمين في المسجد، فذكروا أن القائمين على أمر الحكومة لا يهتمهم إلا أن يملؤوا جيوبهم من المال، ولا يلقون بالاً لغير ذلك، وأن الشعب لا يحاسبهم على ذلك، لأنه تعود على حالة الإهمال والفوضى التي سادت بلادهم بعد سقوط الحاكم المطلق فيها (دوفلييه) الذي كان الأوروبيون يتهمون به باستمرار بأنه وحاشيته يتمتعون بخير البلاد ويهملون أمور الشعب، ولكن حتى مع ذلك كانت البلاد في عهده أحسن مرافق، وأكثر ضبطاً للإدارة ممن خلفه.

الصعود إلى التلال:

انخفض السائق بسيارته من حي ديلماس المرتفع قليلاً إلى داخل المدينة بسيئاته من تكسير الشوارع ووجود بعض المياه القذرة المتسربة من البيوت، ومع ذلك زحام السيارات الشديد إلى جانب الكثرة الكاثرة من المشاة، ولكنه لم يقف فيها، وإنما بدأ الصعود مع تلال ما تلبث أن تنخفض بعد الصعود، ثم ترتفع مرة

أخرى، لأن طبيعة الأرض هكذا.



شارع جيد في القسم الجبلي في مدينة بورت أوبرنس

وقد عجبت من هذا الإهمال لمرافق المدينة وشوارعها، ومن كون ملابس الناس ومظاهرهم هي ليست كذلك تماماً، فمعظم الناس من رجال ونساء عليهم ملابس نظيفة أو تقرب أن تكون كذلك، ومعظم الصبية ذوو مظاهر صحية معتادة.

وقال السائق وهو يصعد إلى تلة من هذه التلال: إن الهواء جيد في هذه التلال الجبلية، والبيوت فيها حسنة لأنها منازل للأغنياء في العادة.

وكان ذلك صحيحاً بالفعل، إذ حسن منظر البيوت وحسنت حالة الشوارع، وقلّ الغبار، بل عدم في بعض الأماكن.

وقلت للسائق: أكل يوم تسوق سيارتك هكذا ؟ فضحك ثم

قال: نعم.

فأبقي من المنظر إلى هايتي

الحديث المتصل عن العرب:

لا يفرق السائق بين العرب المسلمين وغير المسلمين، وقد رأى اهتمامنا بالعرب عندما بحثنا عنهم في قلب المدينة التجاري فأشار هنا إلى بيت واسع جيد واقع على مكان مرتفع من هذه المنطقة المرتفعة قائلاً: إن هذه المنطقة يسكنها الأثرياء، ومنهم بعض العرب كصاحب هذه البيت الغالي الثمين الذي ترونه: إنهم من العرب الأغنياء، فقلت له: ما اسم صاحب البيت؟ فقال: لا أعرف اسمه بالضبط، وإنما اسم أسرته (شاه) أو (شاء)، ولم يعرف غير ذلك. ولكن انظروا إلى بيته، إنه قصر، وقد توفي عميد الأسرة وبقيت زوجته وأبناؤه، وكانوا ملاك عقارات وعندهم إلى ذلك (سوبر ماركت).

وكرر قوله: إنهم أغنياء ونظرة واحدة إلى بيتهم هذا تدل على ذلك، وكنا قد اقتربنا من البيت فرأيناه بالفعل واسعاً جميلاً كأنه قصر تحيط به حديقة منسقة.

شارع جوت رون:

سلكنا شارعاً يرتفع مع ارتفاع التلة رئيسياً اسمه (جوت رون)، وذلك في طيات متعددة إلا أنها ليست ضيقة، وقد بدا جانب من المدينة من هذه المنطقة التي فيها الشارع ممتداً أسافل التلال إلا أن الأقسام المرتفعة من المدينة على التلال التي هي أعلى من هذا الشارع كانت أيضاً عامرة بالمنازل الحسنة المظهر، فهي مشجرة وحالة شوارعها أحسن بكثير من شوارع المدينة المنخفضة، وكرر

السائق قوله: إن الأغنياء يسكنون هنا لأن الهواء جيد والطرق جيدة، ولكن البيوت غالية.



شارع جيد في الجزء الجبلي في بورت أو برنس

ولكن المشاة أيضاً موجودون بكثرة في هذه الشوارع الخالية من العمارات المتعددة الطوابق التي تكون فيها كثافة سكانية في الغالب، ولا أدري سبب كثرة السكان هنا إلا أن يكون الشارع الرئيسي هو الذي يجمع السكان الذين تقع بيوتهم خلفه في التلال، أو الأماكن المتطامنة بينها.

ثم سلكنا زقاقاً متفرعاً من الشارع ضيقاً إلا أنه مزفت تماماً، بل هو جيد المظهر، وإذا به يفضي إلى فندق جيد للسياح اسمه (أذرتقوي) يقع على قمة من قمم التلال تشرف على ما حولها، طلب منا السائق أن ندخل الفندق بينما يذهب لبعض حاجاته، ولا أدري ماذا أراد إلا إذا كان ذهب ليدخن، مع أنني لم أره يفعل

ذلك، وإنما فيه خصلة غير جيدة وهو أنه لا يصحب السياح إلى الأماكن التي يقف فيها، بل يبقى في السيارة أو يذهب عنها.

دخلنا الفندق (أذرتقوي) فوجدناه فندقاً أنيقاً قد نثرت فيه زهور متنوعة وهوائه عليل، لأنه مرتفع عن هواء البحر وعن تلويث المدينة، وفيه السياح الأوروبيون الذين لا يكثرون إلا في مكان جيد الموقع، نظيف ماحوله، لأنهم يأتون من بلادهم للراحة والسياحة، ومعها يريدون الاطلاع على أحوال الشعوب ولهم من إمكانياتهم المالية ومعرفتهم بمرافق البلاد قبل أن يصلوا إليها، ما يسهل لهم ذلك.



المؤلف في عرض الجبل المطل على مدينة بورت أوبرنس

وقد رأيت في هذا الفندق المرتفع بالنسبة إلى ما تحته من أحياء المدينة، وما هو أسفل منها حتى البحر ثلاثة مسابح: اثنان منها للكبار وواحد للصغار، وقد نشروا حولها مقاعد الاسترخاء

التي هي بين الكرسي والسرير، أي على هيئة الكرسي والسرير بحيث يجلس الجالس عليها، وإذا أراد أن يمدد جسمه يستلقي فوقها فصارت له كالسرير، أو قد صنعت لتكون هكذا.

وقد اشترينا من مقصف الفندق ماء ثم جاء السائق يعدو، ولا أدري من أين جاء.

مواصلة الصعود:



جانب من مدينة بورت أوبرنس (صورته من منطقة عالية)

واصل السائق الصعود بسيارته وسط شوارع عامرة كأنها في قلب المدينة، وبكثرة كثرة من المشاة والموجودين في الشوارع وازدحام أيضاً من السيارات، ولكن ليس إلى الدرجة التي تعطل المرور، والشوارع ضيقة، ولكنها مزفتة، وقال السائق: هذه المنازل للأغنياء لأن الهواء نقي وبارد، وأما المنازل فإنها على الشارع وعلى

فلننتهي من الصعود إلى هليتي

ما بعده من الجبل الذي تبدو منه وكأنها متعلقة به ، لأنه يرتفع فجأة ويقل ارتفاعه بعد ذلك.

وقارنت في نفسي بين هذه المنطقة بشوارعها وأناسها وسياراتها وما بين ما أسماه الشارع الوطني الذي هو شارع الشاطئ، فوجدت أنه لا وجه للمقارنة بينهما، فهذه جيدة فعلاً، وتلك رديئة حقاً، بل إنني أعجب لسكانها كيف لا يمرضون أمراضاً حقيقية جسدية أو أمراضاً نفسية.

ميدان سانت بيير:

هذه البلاد كانت مستعمرة فرنسية، ولذلك يجد المرء أحياناً أماكن فيها أسماءها فرنسية مثل ميدان وصلنا إليه قال: اسمه ميدان (سانت بيير)، وسانت قديس، وبيير من رجال الدين المعروفين عند الكاثوليك.

وقفنا عند هذا الميدان في تجمع للمنازل كثيف، وهو ميدان جيد واسع في هذه المنطقة الجبلية، وقد جملوه بأن أقاموا في وسطه ما يشبه الصحن، وهو معد ليكون مزهريّة -أي مكاناً لزهرة- ووجدت عنده فتيات من أهل البلاد السوداوات، ولكنهن من أسر غنية فيما يظهر من حالهن، فطلبنا من كبراهن أن تلتقط لنا صورة تذكارية في الميدان.

كما كان في الميدان ما هو أهم من ذلك، وهو تمثال (الكسندر بيتون) بطل استقلال هايتي، كتبوا عليه أنه ولد في عام ١٧٧٠ وتوفي عام ١٨١٨م، أي أن عمره لم يزد على ٤٨ سنة.

ومن المعروف أن هايتي استقلت عن فرنسا عام ١٨٠٤م.

ومع جودة المنطقة وصلاحيات الشارع فإنه لم يخلُ من التكدير. بسبب السيارات الكبيرة الكثيرة التي معظمها من الشاحنات، قال السائق: إنها تذهب إلى القرى الجبلية الكثيرة في المنطقة، وهي تنفث الأدخنة المؤذية.

وكذلك الزحام من السيارات الأخرى الصغيرة.

إلى قمة القمة:



مدينة بورت أوبرنس كما تبدو من مكان مرتفع من الجبل
المطل عليها

تحركنا من عند ميدان (سانت بيير) مرتفعين مع ارتفاع الجبل، والطريق مزفت إلا أنه لا عناية فيه، فمثلاً لا توجد تحذيرات من المهاولي العميقة التي في الوديان التي يسير بجانبها الطريق، لأنه يسير في عرض الجبل على جانب منه الجبل، وعلى

فايتي من الطريق إلى هايتي

الجانب الآخر وديان منخفضة وأماكن منخفضة أخرى، وهو طريق ضيق.

كما أنه لا توجد فيه حواجز على هذه الأماكن المنخفضة الخطرة بحيث لو اختل توازن السيارة، أو زاحمتها سيارة أخرى، فإنها سوف تسقط من دون أن يعترضها حاجز أو مانع من السقوط. والشعب الموجود هو الشعب الأسود المألوف في البلاد كلها، فالبيض قلة نادرة، وهم متغيرون أيضاً بسبب الطقس وربما بسبب تلوث الهواء عند الدخول في المدينة أو البقاء فيها.

وليس للملابس الناس هنا أي طابع خاص، ولا طراز خاص، وإنما هو اللباس الإفرنجي غير الأنيق على النساء الذي يتألف من قميص نسائي (فستان) في الأغلب، قصير الكمّين، ولا شيء غيره مما يرى، أو من سروال فوقه صدري ليس له كمان. وأما الرجال فإنه اللباس الإفرنجي أيضاً الخالي من الأناقة، وهو من قميص قصير الكمّين وسروال سميك (بنطلون) كثيراً ما يكون قصيراً

والشيء الذي أعجبني فيهم وعيهم الجيد للسير قرب الطريق، فلا تجد الناس هنا يعترضون السيارات كما يكون في شوارع المدينة، وإنما يسيرون على جانبي الطريق، والسائقون لا يتمهلون في سيرهم حتى عند المنعطفات التي لا يرون ما وراءها.

إلا أنهم يكثرون من إطلاق أبواق السيارات كما في داخل المدينة.

وقد برد الهواء من شدة ارتفاع الجبل حتى اضطرتت إلى غلق زجاج السيارة أثناء سيرها ، وما زال ممنعاً في ارتفاعه والطريق جيد حتى وصل قمة القمة ، وهي أعلى مكان من الجبل الذي يطل على العاصمة ، وتسمى القمة (بوتيهه).



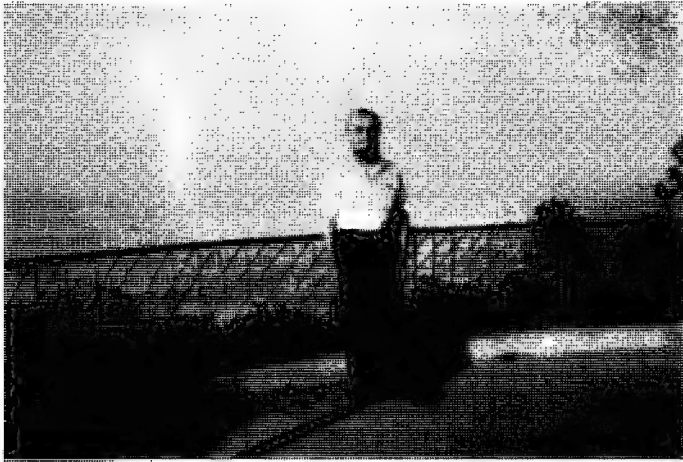
مدينة بورت أوبرنس من قمة الجبل المرتفع فوقها

أوقف فيها السائق سيارته ثم انصرف عنها وعنا على عادته مع أنه دليل يفترض فيه أن يدلنا على ما نحتاج إلى معرفته.

وقفنا في هذه القمة بل قمة القمة الرائعة التي جمعت فيها المدينة كلها تحت عينيك ، وكأنما وضعت بين يديك فترى بحرها وساحلها ، والمدينة وميادينها ومبانيها التي أوضعها قصر رئيس الجمهورية الأبيض ، والكاتدرائية وهي الكنيسة الكاثوليكية القديمة الكبيرة ، بل هي قد تكون أكبر كنيسة في المدينة في العادة ، وهذه القمة قد أحاطوها بسياج من الحديد قصير يمنع من

التدهور، ولكنه لا يحجب النظر، فالتقطت العديد من الصور، ولكنني كنت أجد أماكن أو لنقل جهات أولى منها بالتصوير فأصورها أيضاً كل ذلك وبينني وبين المدينة ارتفاع قدرها كما قال السائق ٢٥٠٠ قدم، ولكنه ارتفاع يعتبر مفاجئاً أو حاداً ولذلك صارت له أهمية، وصار لموقعه تأثير كبير.

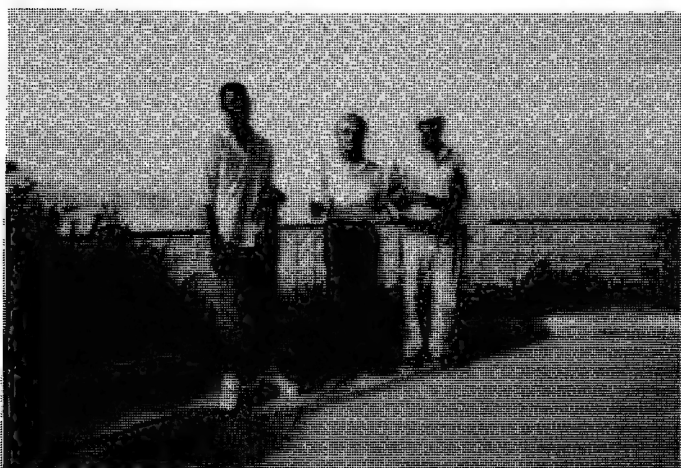
ويرى المرء أيضاً من هنا ما خلف المدينة من الريف، وكنت طلبت من السائق أن يذهب بنا إلى مكان مرتفع أرى منه المدينة، ولم أكن أتخيل أنه سيذهب بنا إلى هذا المكان البعيد الذي يشق عليه وعلى سيارته الوصول إليه لصعوبة السير هنا بسبب كثرة السيارات ووعورة الطريق.



المؤلف على الجبل المطل على مدينة بورت أوبرنس

وجدنا في هذه القمة عدداً من باعة التحف والمصنوعات اليدوية المحلية والرسومات الوطنية التي رسمها أهل هذه البلاد،

وهي رسوم تكاد تكون فريدة من الناحية الفنية، لأنها تكثر من الألوان الصارخة وتستوحى رسومها من عادات وخرافات عندهم، ويقبل السياح عادة على شرائها وأمثالها، ولست من المعجبين بها لذا لم أشر منها شيئاً، وإنما بحثت عن أقنعة من الخشب كالتى تكون عند الأفارقة في إفريقية، لأن ابني (ناصر) هو مهندس معماري وله ذوق فني تعجبه مثل تلك الأقنعة، ولكنني لم أجد شيئاً منها هنا.



المؤلف مع اثنين من باعة التذكارات في أعلى الجبل المطل على مدينة بورت أوبرنس

وإنما عرضوا أشياء جيدة لو كنت مسافراً سافراً قاصداً إلى بلادي لاشتريتها، ولكنني سوف أجول في عدة بلدان قبل العودة إلى مكة المكرمة، ولذلك يصعب عليّ حمل مثل هذه الأشياء. ومن ذلك سيوف من الخشب وهي تشبه السكاكين الكبيرة الطويلة، ورماح، وعصي تقليدية، وكذلك قلائد وأساور من

فانيتي من الغصن إلى هانتي

الخشب أيضاً، فاكتفيت بالتقاط صور تذكارية مع بعض الباعة الذين يحملون تلك السلع، ومنحتهم شيئاً قليلاً من النقود لقاء ذلك ففرحوا به.

العودة إلى المدينة:

لم نطل المكث في هذه القمة لبرودة الهواء، ولأننا بلغنا ما نريده منها، فانحدرنا في الخامسة والربع مبتدئين العودة إلى المدينة سالكين الطريق الذي جئنا منه، وهو الطريق الوحيد هنا.

وعجبت عندما تكررت رؤية السيارات الثالفة الملقاة على حواشي الطريق وفي الزوايا المتسعة منه.

السوق العربي:

المراد بذلك ترجمة جملة (سوبر ماركت) التي تعني السوق غير المعتاد لكبره، وهذه هي الترجمة الحرفية، وإلا فإن المراد هو متجر كبير في مبنى أنيق جميل، ومثله غير كثير في هذه البلاد، وقف عنده السائق قائلاً: صاحب هذا السوبر ماركت عربي.

وجدنا فيها رجلاً عربياً حقاً لأنه فهم ما نقصده وتجاوب مع ما نريده من المعلومات، ولم يفعل ما فعل العرب أهل المنطقة التجارية في قلب المدينة، واسمه (موسى حنّا)، وهو مسيحي من طرطوس من سوريا، ذكر أن العرب هنا كثير، ولكنه قال بأسف ظاهر: إن أكثرهم نسوا لغتهم فأصبح أبناءهم يعرفون أن أصولهم عربية ولكنهم لا يعرفون العربية، ولا يعرفون أيضاً شيئاً

عن أوطانهم العربية.

وذكر أن العرب هنا تجار وحالتهم المالية جيدة.

ثم عدنا إلى المدينة في السادسة والنصف، مع معاناة من المرور قبل الوصول للفندق، وذلك أن المرور كان واقفاً، ولاحظنا أن شرطة المرور موجودون ولكنهم لا يعملون شيئاً، ورأيت طالبات خارجات من مدرستهن وهن يلبسن زياً موحداً هو (مريلة)، أي إزار مخطط يصل إلى الركبة، فوقه قميص، ومظهرهن من الناحية الصحية لا بأس به.

مع قادة الجماعة الإسلامية:

كان موعد اجتماعات الإخوة أعضاء الجمعية الإسلامية ورئيسها الإمام الشيخ عبدالعلي في الساعة السابعة من مساء هذا اليوم.

وقد حضر منهم أربعة هم الإمام عبد العلي، والأخ حبيب الله، وهو فيزيائي يعمل في الجامعة دخل في الإسلام في عام ١٩٩٥م عن طريق قراءاته الشخصية لترجمة معاني القرآن الكريم ولبعض الكتب الإسلامية من دون أن يدعو أحد من الناس إلى الإسلام.

والثالث الأخ عبد الودود طالب في الجامعة يدرس الجيولوجيا أسلم قبل خمس سنوات.

والرابع حامد عبد الله وهو رسام أسلم قبل ثلاث سنوات فقط، ويتميز عنهم أنه يرتدي قميصاً عربياً طويلاً ويضع على

رأسه (طاقية) قلنسوة بيضاء وهو متمسك بإسلامه يبين نور الإسلام على وجهه.

وعلى رأسهم الإمام عبد العلي هو أيضاً مسلم جديد، وقد علمت أن المسلمين هنا عمادهم المسلمون الجدد، بل كل أهل البلاد من المسلمين هم حدثاء عهد بالإسلام، وهم من أهل البلاد الأصلاء وأكثرهم لإسلامهم قصص شيقة، لا يتسع المجال لذكرها لكثرتها.

فالأخ حامد عبد الله يؤذن في المسجد وينوب عن الإمام في إمامة المصلين إذا غاب الإمام.

تحدثنا معهم طويلاً فذكرنا لهم أسماءنا وعملنا في رابطة العالم الإسلامي، والغرض الذي جئنا من أجله إلى هذه البلاد، وهو رؤيتهم ورؤية إخواننا المسلمين ومعرفة ما نستطيع أن نتعاون فيه معهم إلى تقديم دعوة لرئيسهم أي رئيس الجماعة الإسلامية للاشتراك في المؤتمر الإسلامي العالمي، الذي ستقيم رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة.

وتحدثت إليهم بناء على رغبتهم عن أحوال المسلمين في العالم وعن الإقبال الذي لا نظير له على الإسلام بالنسبة إلى الأديان العريقة الأخرى، بل إن أناساً من أهلها صاروا يهجرونها ويدخلون في الإسلام.

وكان أحدهم قدم طلباً للالتحاق بالجامعة الإسلامية في المدينة المنورة فقبلته الجامعة، ولكنها أرسلت سمة الدخول إلى

السفارة السعودية في باريس لأن دخولها سهل عليهم.

وسألتهم عن مدى الإقبال على الدخول في الإسلام، فذكروا أنه عظيم إلا أن الداخلين الآن قليل لأن الدعاة الذين يفهمون الإسلام فهماً صحيحاً هم قلة، بل لا يوجدون هنا أصلاً، وذكروا أنه لو وجد دعاة صالحون، ووجدت عناية بالمسلمين الجدد إلى جانب الوسائل اللازمة للدعوة مثل الكتب الإسلامية، وعلى رأسها ترجمة معاني القرآن باللغة الفرنسية لكانت النتيجة باهرة، وكنت سألت السائق السياحي عن دينه، فذكر أنه ولد كاثوليكياً وأنه ظل كذلك، فقلت له: ماذا عن الدين الإسلامي؟

فقال: لا أعرف عنه شيئاً، فسألته عما إذا كان أحد عرض عليه الإسلام أو أعطاه كتباً إسلامية، أو حتى دعاه إلى النظر في الإسلام، فنفي ذلك وقال: لم يعرض عليّ أحد شيئاً عن الإسلام، ولا أعرفه بل لا أعرف عنه شيئاً.

فقلت له: إنك رجل مثقف، والإسلام دين ربع البشرية وهو أسرع الأديان انتشاراً في العالم، كما قال الرئيس بيل كلينتون رئيس الولايات المتحدة الأمريكية، وكما هو معروف للمعنيين والمهتمين بشؤون الأديان، وما يزال إخواننا من ذوي الأصول الإفريقية خاصة من سكان القارة الإفريقية يدخلون في الإسلام أفواجا، أفلا يكون من المناسب لك، بل من الأفضل أن تطلع على هذه الديانة السماوية التي هي بهذه المثابة، فإذا رأيت أنها هي الدين الحق اتبعتها، وإذا لم تر ذلك فإنه لا أحد يجبرك على

اعتناقها كما تعلم ؟

وقلت له: إنني مستعد لإرسال ترجمة معاني القرآن الكريم بالفرنسية إليك مع بعض الكتب الإسلامية، إذا أردت ولكني لم أجد منه التجاوب المطلوب وإنما قال: كثير من الناس هنا ولدوا كاثوليكين، ولكنهم لا يؤمنون بالكاثوليكية.

فقلت له: لقد أعطانا الله سبحانه وتعالى العقل، ومكننا من التفكير فيما هو صالح لنا، فما عليك إلا أن تفكر في ذلك وتقرر ما يرتاح إليه ضميرك.

هذا وفي الختام قدمت لكل من الإخوة الأربعة كيساً من التمر أخبرتهم صادقاً بأنني أحضرتها من مكة المكرمة، وأنها من نخلات في بيتي وأنا أقصد أنها من بيتي في القصيم، ولذلك لم أقل إنها من بيتي في مكة المكرمة.

يوم الجمعة ١٨/١٢/١٤٢٠هـ - ٢٤/٣/٢٠٠٠م

الممثلية الخالية:

إن المحطة التالية لسفرنا في هذه الجولة ستكون جزر البهاما، وهي جزر سياحية ليست لها موارد ظاهرة إلا السياحة، ولذلك توقعنا وطبقا لما قيل لنا: إنها لا تحتاج إلى سمة دخول، وإنما يحصل السياح على سمة دخولها من المطار، ومع ذلك قلت: إن الأفضل أن نحصل من ممثليتها في (بورت أو برنس) على سمة الدخول، فذهب الرفاق إليها اليوم مع رفيقي في السفر الأستاذ رحمة الله بن عناية الله، ولكنه وجدها خالية من الموظفين ليس فيها إلاحارس وموظف في مثل رتبته صغير، أخبرهم أن الأمر كله لدى القنصل، وهو خارج المدينة ولا يأتي اليوم.

وعاودنا التمشي على أقدامنا فيما حول الفندق، فوجدت أن (هايتي) تناقض كوبا التي كنا فيها قبلها في كل شيء تقريبا، ومن أهم ذلك وأظهره النظام السياسي، فهو في كوبا شيوعي يصادر حريات الناس ويحد من نشاطهم، ويفرض لهم دخولا محددة لا يتجاوزونها مهما عملوا من عمل، ويزعم أنه يعطيهم مقابل ذلك سلعاً رخيصة بأثمان رمزية لا تبتغي الدولة من ورائها مكسباً، وكأن هذا النظام نسي أو تناسى أن الإنسان ليس حيواناً إذا وجد كفايته من العلف لم يتطلع لغيره.

وهنا النظام الاقتصادي حر، ولكنه سيئ فيما يختص بالإدارة والمصالح العامة للناس، فهي هنا عكس كوبا الحازمة

فأيتي من السفر إلى هايتي

الجازمة بل القاسية في تطبيق الأنظمة وعدم التسامح فيها.

و(كوبا) دولة مختلفة الأعراق والألوان، فيها البيض المتغيرون والخلاسيون الذين ألوانهم بين السواد والبياض، وفيها إلى ذلك السود الأنقياء، ولكن كل من فيها قد دخل في دائرة الجمال من المنظر نتيجة للمعيشة القديمة في البلاد التي كانت تتوفر فيها الرخاء والعيش الرغيد لطوائف كبيرة من السكان، لأن البلاد ذات موارد اقتصادية مهمة.

وفي هذه البلاد (الهايتية) لون واحد وحيد هو اللون الإفريقي العريق في السواد.

وليس اللون هو المهم أو الوحيد، لكن الملامح المتخالفة في كوبا وعكسها الملامح الواحدة في هايتي وكوبا جنة السائح لما توفره من فنادق ومقاهٍ وسيارات أجرة معتدلة السعر، و(هايتي) غالية للسائح.

و(كوبا) لا ترى في أوساط مدنها ولا ما حولها شارعاً قد فسد زفته، أو وجدت الحفر والنقر فيه، ولا في أرصفتها ما يحتاج إلى إصلاح، ولا في شوارعها وميادينها على وجه العموم شيء من القمامة أو النفايات، و(هايتي) عكس ذلك.

وحتى الأمن فإنه رغم توفره في الظروف المعتادة في (هايتي) فإنه لا يداني الأمن في كوبا، شأنها شأن البلاد الشيوعية التي لا يجد فيها اللصوص والسراق ما يستحق أن يسرقوه، لأن الناس لا يملكون فيها ما هو كذلك، وإنما المالك الوحيد لكل شيء هو

وفي (هايتي) يخاف المرء على ماله في بيته ومتجره إلا إذا عين حارساً، أو أخلاه مما يطمع فيه اللصوص، فيكون خلوه منه خير حارس.

ومن الغريب العجيب أن (هايتي) هي أول أقطار البحر الكاريبي حصولاً على الاستقلال وقد نالت استقلالها قبل كوبا بنحو ثمانين سنة، ومع ذلك تكاد تعتبر الآن أسوأ تلك الأقطار إدارة وأكثرها فوضى، وأقلها مبالاة براحة مواطنيها.

جمعة هايتي:

حضر إلينا في الفندق في الساعة الثانية عشرة الأخ الكريم (حامد عبد الله) ومعه سيارة له يابانية جيدة من نوع (الجيب)، فدفعنا للفندق أجرته (١٥٢) دولاراً أمريكياً لليلتين، وشكرنا لأهله حسن معاملتهم دون محاولة أخذ شيء لا يستحقونه.

وكان في مكتب الاستقبال منهم عندما غادرناه فتاتان سوداوان مهذبتان متقنات للعمل.

ومثل هذه السيارة هي التي تصلح للعمل في شوارع هذه العاصمة المدمرة - أي شوارعها -، واللطيف بل الألف في الأمر أن الأخ حامد أدار المسجل في السيارة على تلاوة قرآنية خاشعة.

فحمدت الله تعالى الذي أبدلنا بخوفنا من (هايتي) أمناً بحيث إننا نركب سيارة أحد إخوتنا المسلمين، ونستمع إلى تلاوة

القرآن الكريم آمين مطمئنين، وله الحمد والمنة.

أخذ الأخ حامد يخوض بسيارته زحام السيارات في الشوارع يتجشم الحفر في شوارعها ويتفادها فعل الخير في ذلك، فوصلنا سوقاً فيه خضرات في بسطات وهي البضائع المنشورة على الأرض مع نساء قد فعلن ذلك أمام الحوانيت في الشوارع المزدهمة بالناس.

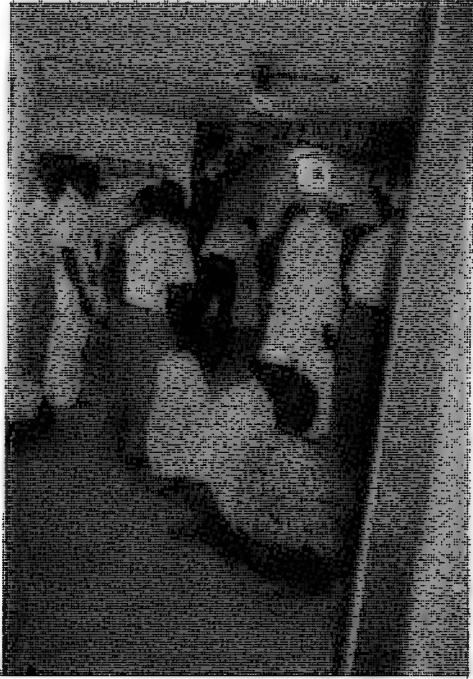
ولم أرَ كثرة الجماهير السائرة في الشوارع مثل ما هو في هذه البلاد اللهم إلا في الهند، والغريب الطريف أن شعورنا بسوء الشوارع وحالة السيارات وازدحام الناس والسيارات في المدينة قد خف عما كان عليه أول مرة، فربما كان مرجع ذلك إلى أننا تعودنا عليه، أو أن الأخ حامد تفادى المرور ببعض الشوارع الأكثر سوءاً.

وقد شعرنا أننا وصلنا المسجد بسرعة، فأنسنا منه منظر مآذنه الثلاث البيض الرشيقة، والشهادتان المكتوبتان على مدخله الداخلي.

لا سيما أنه المسجد الوحيد في هذه المدينة التي يبلغ عدد سكانها مليونين من النفوس، وهي عاصمة لدولة تعد سبعة ملايين نسمة.

دخلنا إلى المسجد فاستقبلنا الإمام (عبدعلي) فأودعنا عنده حقائبنا يضعها في بيته إلى حين موعد خروجنا للمطار إذ المقرر أن نغادر (بورت أو برنس) في السادسة من مساء هذا اليوم إلى ميامي، ووجدنا بعض الإخوة قد حضروا مبكرين للصلاة، وأغلبهم من

أهل البلاد الأصلاء من المسلمين الجدد، وأما المسلمون القدماء
فإنني لا أرى منهم إلا واحداً ذا مظهر عربي، ولكن غيره سيأتي
فيما بعد.



صلاة الجمعة في مسجد بورت أوبرنس

كانت المراوح تدور بقوة داخل المسجد رغم عدم وجود حر
شديد، واللوحات العربية بالخطوط العربية، وبمداد لامع السواد
على حوائط المسجد البيضاء بل الناصعة البيضاء.

من الطريف المفرح أننا عندما اقتربنا من داخل بيت الإمام
ونحن نحمل الحقائب لوضعها عنده سارعت نساء في البيت

فأبقيتني من الصغر إلى هابيتي

مسلمات بالانزواء خلف حائط أو عمود لكي لا يراهن الرجال الأجانب في هذه البلاد التي ابتليت بالسفور من قديم الدهور. وجاء بُني له صغير عليه طاقية بيضاء رغم أنه في الثامنة يسلم ويحيي طبقاً لما أمره به أبوه.

صلاة الجمعة:

أذن أحد الإخوة من المسلمين الجدد أذاناً شجياً يمدّه ويحسنه بلفظه، وقد ذكرني لفظه بلفظ أهالي غرب إفريقية بالأذان فقلت في نفسي: ربما كان أجداده من هناك، وقد حافظ بطريق الوراثة أو بطريق المصادفة على هذا اللون من الأداء.

وأرجو عفو القارئ الكريم حيث أستطرد إلى ذكر شيء محزن وغريب، وهو أن جميع سكان هذه البلاد هم من أصول إفريقية مثلهم في ذلك مثل الملايين من سكة البحر الكاريبي، لا يعرفون قبائلهم ولا أجدادهم الذين نهبهم الأوروبيون وباعوهم عبيداً في الأمريكيتين ومنطقة الكاريبي ولا يعرفون بالتالي البلاد التي نهبوا منها.

فالأوروبيون القساة من تجار العبيد يستعملون التجارة بالنسبة لبيع العبيد، ولكنهم لا يستعملونها بالنسبة إلى الحصول عليهم، فهم لا يشترون العبيد من أحد، وإنما ينتهبونهم انتهاباً، يفعلون بهم كما يفعل صائدو الوحوش، أحياناً بالقوة وأحياناً بالمخادعة بالطعام والشراب قبل التمكن منهم، ثم الإطباق عليهم وأخذهم قسراً إلى الجهة التي يريدونها، ويتركون بالتالي من لم يظفروا به

منهم كزوج من زوجين أو آباء لأولاد نهبهم أو أولاد لآباء أخذوهم.
وقد سمعنا أخيراً قولاً عن الأوروبيين أن بعض شيوخ القبائل
من الأفارقة كانوا يساعدون بعض الأوروبيين من منتهبي العبيد
مقابل أشياء رمزية يعطونهم إياها.

وهذا أمر مستبعد إلا إذا كان لمن يعتبرهم أولئك المشايخ
والرؤساء الأفارقة من المعادين لهم ويريدون النكاية بهم.

وهذا الأمر يجرنا إلى الدعاية اليهودية والأوروبية المتعصبة
التي تقول إن العرب كانوا يسرقون الإفريقيين ويبيعونهم عبيداً في
الحواضر العربية، وهم يقولون ذلك متجاهلين أن الاسترقاق كان
هو السائد في تلك العصور القديمة، ولكن العرب كانوا يسرقون
العبيد أفراداً على نطاق ضيق، أما أولئك الأوروبيون فإنهم كانوا
ينتهبونهم ويسترقونهم ويسافرون بهم بعيداً عن أوطانهم يبيعونهم
لمن يكافهم الأعمال الشاقة، ويعاملهم كما يعامل الماشية.

وقد رأيت وثائق في البرازيل ترجمها لي أحد الإخوة العاملين
في الجمعية الإسلامية في مدينة (ريودي جانيرو) تقول مثلاً: لقد باع
فلان بن فلان مزرعته على فلان التي تشتمل على كذا بقرة وثور
وحمار وكذا عبد ذكر وعبد أنثى وصغار من العبيد، ومما يدل
على ذلك أيضاً أن المدن في أمريكا الشمالية والجنوبية
كالبرازيل تعج بالأفارقة الذين هم من أنسال العبيد، على حين
لا يراهم المرء إلا نادراً في الحواضر العربية كبغداد والقاهرة
ودمشق.

وهذا إذا كان المقصود به العرب غير الملتزمين بالإسلام، أما الملتزمون وهم الأكثر بين العرب فإنهم لا يسترقون إلا من يعتقدون أنه رقيق بالفعل وليس حراً منتهباً انتهاباً، وكانوا مع ذلك يشترونهم لكي يحرروهم فيعتقونهم من العبودية لما ورد من الآثار في فضل تحرير العبيد ومنحهم الحرية.

عود إلى الكلام على الصلاة:



قبل صلاة الجمعة في مسجد بورت أوبرنس

عندما فرغ المؤذن من الأذان الأول أصبح الناس يتفلقون وهم

في غاية الخشوع والاطمئنان مما يراه المرء من حالهم، وبعضهم بدأ بقراءة القرآن صامتاً، وقد حضر اثنان من العرب أثناء ذلك لأداء صلاة الجمعة، وفي الواحدة إلا خمس دقائق صعد الخطيب المنبر وأذن المؤذن الأذان الثاني، وكان أذن الأول في الثانية عشرة والنصف ضبطاً فالمدّة بين الأذنين واسعة مثلما كنا نفعل ولا نزال نفعل في وسط المملكة.

وقد جلس الخطيب على المنبر وهو ذو مظهر عربي إلا أنني لم أستطع أن ألحقه في ذهني بأهل أي بلد من البلدان العربية، وقلت ربما يكون باكستانياً قدم من شمال باكستان طالت إقامته في أوروبا وأمريكا فاكْتَسَبَ بعض البياض، ولكنني كنت أجزم بأنه عربي حتى نهض بعد فراغ الأذان التالي وبدأ بخطبة الحاجة: إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتدي ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً.

فعرفت من قراءته أنه ليس بعربي لأنه لا يخرج الحروف العربية من مخارجها، بل إنه يصعب عليه ما يسهل على بعض الأعاجم من النطق ببعض الكلمات والعبارات التي يتهجها تهجياً ثم انطلق يتكلم بالفرنسية بما لا نعرفه، ولم يكن ألقى نصوصاً بالعربية غير الخطبة التي ذكرتها، وكان النطق بها صعباً عليه، لذلك صعب علينا أن نعرف الموضوع الذي يتكلم به، وكانت معه ورقة ينظر فيها، إلا أنه يخرج أحياناً عنها ويبدأ يتكلم من تلقاء نفسه، ورأيت المصلين يتجاوبون بقسمات وجوههم معه، مما يدل

فأبقي من السفر إلى هايتي

على أنهم يفهمون كلامه.

هذا ، وليس على هذا الخطيب أي مظهر من مظاهر الإمامة ، فهو يرتدي بدلة كاملة ، حتى رباط العنق ، إلا أنه خلع السترة (الجاكيت) وصعد المنبر دونها ، وليست على رأسه قلنسوة (طاقية) فضلاً عن العمامة ، وقد أشكل علي أمره إذ ظهر بمظهر العربي ، ولكن لفظه بالعربية ليس بلفظ العربي.

وقلت في نفسي لو كان الإمام الراتب وهو الأخ عبد العلي هو الذي يخطب لكان بعض خطبته بالعربية فهمناه ، وكانت خطبته وإمامته هي الطبيعية.

وعندما انتهى من الخطبة الأولى جلس على المنبر قليلاً كالعادة ، ثم نهض فابتدأ الخطبة الثانية بقوله: الحمد لله ، الحمد لله ، ثم شرع يتكلم بالفرنسية بانطلاق ودون تردد مما يدل على أنه بارع فيها.

ومن اللافت للنظر في هذه الخطبة أن أحد المصلين وضع مسجل الصوت تحت المنبر لكي يسجل الخطبة ، وآخر كان يتابع الخطبة عن طريق كتابة ما يقوله الإمام مما لم أر مثيلاً له من قبل فيما يتعلق بكتابة الخطبة ومتابعة الخطيب بالكتابة.

وقد أطلال الخطبة بالنسبة إلينا لكوننا لا نفهم ما يقوله إذ استمرت الخطبة ٣٥ دقيقة.

ثم أقام المؤذن للصلاة وكانت الإقامة كالأذان معتادة ليس

فيها شيء متغير، وقد ظننت ومظهره مظهر المثقف العصري أنه سوف يقدم الإمام للصلاة بالناس. ولكنه لم يفعل، وإنما صلى بنا فقرأ في الركعة الأولى سورة (سبح اسم ربك الأعلى) وبالثانية سورة أخرى قراءة جيدة إلا في ما يتعلق بإخراج الحروف العزبية من مخارجها، فإنه كان يصعب عليه ذلك في بعض الحروف.



بعد صلاة الجمعة في مسجد بورت أوبرنس

لم تكد تنتهي الصلاة حتى قلت لعربي عرفته من لونه وهيئته: من أين هذا الخطيب وما هي جنسيته؟ فقال هذا من

اليمن ١.

فقلت له: إن اليمني لا يمكن أن يتعثر بالنطق بالحروف العربية، فقال: هذا يمّني مولود في أمريكا، لذلك لا يحسن نطق العربية، وهو يعمل في السفارة الأمريكية في هذه البلاد.

فقلت له: إنه إذا من أبناء اليمن الأمريكيين !

ولكن اللافت للنظر أنه أنيق المنظر واللباس إلى درجة أنه أكثر أناقة وأحسن منظراً من كثير من الأمريكيين، وأنه وهو دبلوماسي عامل في السفارة الأمريكية لم يمنعه ذلك من حضور صلاة الجمعة التي تقع في يوم عمل، بل وبالخطبة والإمامة للناس فيها.



الإمام اليمني الأصل الذي صلى بالناس صلاة الجمعة في مسجد
بورت أوبرنس (في أيسر الصورة) يؤدي السنة بعد الصلاة

وعندما انتهى الخطيب الإمام من صلاة النافلة سلمت عليه وحييته، فتبين أنه لا يعرف العربية، وإنما يفهم بعض كلماتها إذا سمعها، وأن الحامل له على حضور الصلاة والإمامة بالناس هو محبته للإسلام، ولثقافة الإسلامية.

وهذا عجيب من الجيل الثاني من أبناء العرب الأمريكيين.

قال الإمام (عبد العلي) يخاطب المصلين: إن فلاناً - يقصدني - قد قدم هو وصاحبه من مكة المكرمة، وسوف يلقي علينا كلمة.

ولم يكن بحاجة إلا ليخبرهم أنني من مكة المكرمة، أما الخروج من المسجد حالما انتهت الصلاة أو النافلة بعدها فإن ذلك لم يحدث إذ بقوا يتفعلون.

كنت سلمت على الأخ العربي الذي صلى بجانبني، فوجدت فيه بغيتي، فهو أخ لبناني متدين، مع أن مظهره مظهر الأوروبي الخالص ببياضه ولباسه، واسمه (طارق أحمد ساطي) وهو الذي يستطيع أن ينقل كلامي إليهم بالفرنسية، لأنه يقيم في هذه البلاد منذ سنوات، لذا يعرف الفرنسية حتى يعرف بعض لهجة الكريول التي هي اللغة الفرنسية المختلطة بلغة القوم المحلية التي تولدت بينهم، مع أنها ليست لغة قائمة بذاتها، وإنما عمادها الفرنسية.

كلمتي في القوم:

بدأت الكلمة بتعريفهم بأسمائنا ووظائفنا، وتعريفهم

برابطة العالم الإسلامي التي جئنا منها ومقرها مكة المكرمة،
وتبين أنهم لا يعرفون عنها شيئاً، بل إن بعضهم لم يسمع بها من
قبل.

ومرجع ذلك بلا شك تقصير منا، لأننا الذين كان بإمكاننا
أن نحضر إليهم، أو نرسل بعض ممثلينا، أما هم فليس بإمكانهم
أن يحضروا إلينا بطبيعة الحال، إلا من أسعفه الحظ بأداء فريضة
الحج، وهو في الغالب لا يأتي إلى الرابطة وأمثالها، لأنه يكون
مشغولاً بأعمال الحج.

ثم قلت لهم: إن الإسلام هو دين الله الذي أرسل به رسوله
محمد ﷺ إلى الناس كافة، وليس دين العرب وحدهم كما قد
يؤحي به كلام الجاهلين أو المحرفين للإسلام، كما أنه ليس دين
أمة أخرى غيرهم، بل هو دين كل من آمن بالله ورسوله من أبناء
البشرية في أي مكان من الأرض، ومن أي لون من ألوان البشرية.

وقلت لهم: إن بلال بن رباح هو من السابقين الأولين
للمسلمين، ولذلك هو من أكابر الصحابة المفضلين، وهو إفريقي
من الحبشة، ومع ذلك قال فيه الرسول ﷺ: (كأنني أسمع صوت
وقع أقدام بلال أمامي في الجنة).

فهو يدخل الجنة بين يدي رسول الله ﷺ، وعلى خلافه (أبو
لهب بن عبد المطلب) عم رسول الله ﷺ الذي لم يؤمن بالرسول ولم
يدخل الإسلام، بل عانده وخاصمه هو من أهل النار بنص القرآن
الكريم الذي نزلت منه سورة كاملة في ذم أبي لهب، والحكم

عليه بأنه في النار، وهي قوله تعالى: ﴿تَبَّتْ يُدَا أَيْ لَهَبٍ وَتَبَّ * مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ * سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ * وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ * فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾.

ولم يذكر القرآن أي شخص باسمه من الذين عادوا الرسول وآذوه إلا أبا لهب، وذلك ليعلم الناس على مر العصور أن قرب النسب أو القرابة المادية من الرسول أو من الرجل الصالح لا تنفع عند الله تعالى إذا لم يصاحبها إيمان بالإسلام، وعمل بما جاء به الرسول.

وقلت لهم: إنكم جميعاً من المسلمين الجدد، ولكن الإسلام ساوى بين المسلمين الجدد وغير الجدد، ولا يفرق بين أحد منهم إلا بمقدار عمله، فهم عند الله سواء، وعند عباده المؤمنين سواء، بل إن المسلم الجديد إذا عمل أفضل مما عمل المسلم القديم العريق في الإسلام كان أفضل عند الله منه.

وذلك لكون الإسلام يمحو ما قبله، فيصبح المسلم الجديد إذا كان خالص النية في الإسلام كيوم ولدته أمه. وحتى المسلم الذي قارف شيئاً من الذنوب بعد إسلامه، ولكنه تاب فإن الله يقبل توبته إذا تاب توبة نصوحاً، والتوبة النصوح تتطلب منه أن يندم على ما حصل من الذنوب، وأن يعزم على ألا يعود إليها.

وقلت لهم: إن الإسلام لا يجعل بين الإنسان وخالقه واسطة يغفر له ذنوبه، أو يكفر عنه سيئاته، وإنما يدعو الله بدون

واسطة، إذ الذي خلقه هو قادر على أن يسمعه وأن يستجيب لما يطلبه منه، إذا لم يدعُ بائث أو قطيعة رحم، كما في الآية الكريمة: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ أما الإنسان الذي هو مخلوق مثله فإنه لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضرراً، فضلاً عن أنه يملك ذلك لغيره.

وقلت لهم: إنكم ترون أنفسكم الآن أقلية عديدة في هذه البلاد، ولكن لو تأملتم حال الدعوة الإسلامية في أول الأمر لما رأيتم ذلك، لأن الرسول ﷺ كان في بداية دعوته إلى الإسلام في مكة المكرمة لم يكن معه إلا أقل منكم، وكان من الأقلية العددية التي معه بلال الحبشي الإفريقي، وسلمان الفارسي، وصهيب الرومي، ومع ذلك انظروا إلى ما وصل إليه الإسلام، إنه قد وصل إلى بلادكم البعيدة عن مكة المكرمة والمدينة المنورة، وهو بُعد لا ينقص من قدركم، ولا يمس إيمانكم، لأنكم تعبدون الله تعالى الذي هو موجود ومعبود في كل مكان على وجه الأرض، كما قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَليمٌ﴾.

ولو بحثنا عن شاهد على انتشار الإسلام وجدنا ذلك من كلام الرئيس بيل كلينتون رئيس الولايات المتحدة الأمريكية التي هي أقوى دول العالم طراً وأغناها، فقد خطب أمام التلفزة والإذاعة والصحافة، فقال: لدينا الآن في الولايات المتحدة

الأمريكية خمسة ملايين مسلم يتجهون في صلواتهم إلى مكة في كل يوم خمس مرات. والإسلام هو الآن أسرع الديانات انتشاراً في العالم.

هكذا قال وهو مطلع مقدر لهذا الأمر، ولكن إختنا المسلمين في أمريكا يقولون: إن عددهم فيها أكثر من خمسة ملايين، ولكن قولهم تفاوت، فبعضهم قال: ستة ملايين، وبعضهم قال: ثمانية، وأعتقد أنه لا توجد إحصاءات كاملة موثقة بعدد الأفراد من المسلمين، أو بعدد الأسر المسلمة في أمريكا، وإنما الذي يوجد لدينا منه نسخة في رابطة العالم الإسلامي هو عدد المساجد والمراكز الإسلامية في الولايات المتحدة، وقد بلغت حين إصدارها قبل ثلاث سنين ١٨٧٠ مركزاً ومسجداً.

وقد أخبرتهم بأن الإسلام دين دعوة وعمل، وليس دين أنكماش وتقوقع، لذلك يجب على المسلم أن يدعو غيره إلى الإسلام على بصيرة وبالحكمة والموعظة، فذلك طريق المسلمين جميعاً كما قال الله تعالى مخاطباً رسوله ﷺ: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾.

وقد دعوت لهم في ختام الكلمة بأن يقدر الله لهم الوصول إلى مكة المكرمة حجاجاً ومعتمرين، وهناك نلتقي بهم ونرحب بقدمهم.

وكانوا أخبروني بأن حكومة (هايتي) لا تتعصب ضد

المسلمين، ولا تعاندهم، بل لا تضايقهم، فقلت لهم: إن ذلك يفرض عليكم أن تكونوا خيراً للمسلمين وغير المسلمين، وذلك بأن تحافظوا على المرافق العامة، وألا تخالفوا الأنظمة المرعية والموضوعة للمصلحة العامة، مثل أنظمة المرور والوقوف، وذلك لكي يشعر الناس هنا أن المسلم كله خير للجميع.

كان يترجم كلمتي من العربية إلى الفرنسية جملة جملة الأخ الكريم طارق أحمد ساطي وهو رجل تجارة ومال، له (سوبر ماركت) وله مع شركاء من العرب مصرف (بنك)، ذكر لنا في معرض الحديث عن الأمن في هذه البلاد أن لديه حارسين في محله، وأن اللصوص سرقوا من (البنك) الذي يملكه مع شركائهم فشكواهم إلى الشرطة، وطلبوا منهم أن يتابعوهم ويعتقلوهم، قال فقالت الشرطة: لماذا نتبعهم ونبحث عنهم، إنهم لصوص أخذوا ما قدروا عليه وانتهى الأمر.

جلسة طيبة مع أعضاء الجمعية الإسلامية:

لم يكن خرج من المصلين أي شخص عند إلقاء كلمتي حتى انتهيت ما عدا أخاً هندي الأصل من ترينداد كان حضر لأداء صلاة الجمعة والحديث بالعربية والفرنسية، وهو لا يعرف أي واحدة من هاتين اللغتين. وبحثنا مع أعضاء الجمعية الإسلامية كيفية التعاون معهم في المستقبل، وطلبت منهم أن يخبرونا بما يحتاجون إليه مما قد نساعدهم به الآن، فطرحوا عدة أشياء لم يكن من بينها ما كان ذكره لي الإمام من كونه يريد أن يضيف

بيته الذي هو من طبقة أرضية واحدة إلى المسجد لأنه ملاصق له، وأن يبني له بيتاً فوقه يسكنه، وربما كان ذلك لأنني قلت له: إنه لا يمكن أن تضيفه إلى المسجد إلا من باب التبرع، ولا تستطيع أن تعود عن ذلك، وعليك أن توقفه على المسجد كما سبق.

وقد استجبنا لبعض طلباتهم التي قدموها، وهي شراء محرك مولد للكهرباء بقيمة (١٥٠٠) دولار أمريكي، لأن الكهرباء لا تأتي إليهم إلا ثلاث ساعات في اليوم والليله حسبما قالوا، فيبقى المسجد في الظلام.

كما استجبنا لطلبهم شراء (كمبيوتر) للجمعية الإسلامية يكون تابعاً للمسجد بتسعمائة دولار، ومصورة فيديو بـ ٣٠٠ دولار من أجل تسجيل المناسبات الدينية، وإعادة عرضها على المسلمين بما في ذلك المواعظ والخطب، وألفنا لجنة لشراء هذه المواد من الأخ اللبناني طارق أحمد ساطي، لأنه تاجر معروف يثقون به، ومن الإمام وأمين الصندوق في الجمعية، ونائب الإمام، على أن تسلم النقود للأخ طارق، وتبقى عنده حتى يتم شراء تلك المواد بها.

وكان سرورهم عظيماً بذلك، وقد زدناهم بأن قدمنا ٣٠٠ دولار هدية للإمام قلت: إنها ثمن ساعة لك تستطيع شراءها، و(٢٠٠) دولار لنائب الإمام مساعدة لهما، لأنهما يعملان من دون أجر ومن دون مرتب ﴿وما عند الله خير وأبقى﴾.

وكان حضر معنا أيضاً أخ فلسطيني يعمل تاجراً في

ميامي، صلى معنا الجمعة وحضر الجلسة، وذكر أنه يأتي إلى هذه البلاد للزيارة.



المؤلف مع المسلمين في مسجد بورت أوبرنس بعد صلاة الجمعة

لقد صلى معنا نحو ٣٨ ، خرج أكثرهم بعد انتهاء كلمتي، ولم يبقَ إلا تسعة منهم والعريبان، فأحضر الإمام من بيته المجاور للمسجد الشاي وسقانا إياه، وأحضر كيس التمر الذي أعطيته إياه البارحة فصار يعطي الواحد منه ثمرة فقط، ويقول وهو يلوك بأسنانه واحدة: تذوقوه، إنه حلو جداً حتى ذاقه الجميع.

وتذكرت بهذه المناسبة واقعة قريبة من ذلك حدثت لي في جزيرة المارتنيك إحدى جزر البحر الكاريبي، وذلك أن رئيس الجمعية الإسلامية الأخ محمد انفيلوين حضر إلي في الفندق مع الشيخ حبيب إمباكي إمام الجمعية هناك، وهو من تلاميذنا في

الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، فقدمت لهما تمرّاً جيداً من نخلات لي في بستاني في بريدة، فأكل منه وجعل الأخ محمد انغيلوين يمدحه فقلت له: خذ الكيس لبيتك فأخذه، وكان ذلك اليوم يوم الجمعة، فلما انقضت الصلاة تكلمت فيهم حسب طلبهم، وكان الأخ إمباكي إمام القوم يترجم كلامي للفرنسية، فرأيت الأخ محمد قد أحضر معه كيس التمر الذي أعطيته إياه إلى المسجد، وأخذ يمر به على صفوف المصلين الذين كانوا يستمعون إلى كلامي ويعطيهم اثنتين اثنتين، أي يعطي كل واحد تمرتين حتى لم يبقَ فيه إلا تمرتان أكلهما.

لقد أراد الأخ محمد ألا يستأثر بالتمرات التي جاءته من مكة المكرمة وأعجبه طعمها.

ثم تذاكرنا معهم أحوال هذه البلاد، فذكروا أن أحد المسلمين الأثرياء أراد أن يبني مسجداً للمسلمين في هايتي، وذلك إبان حكم الطاغية (دوفالبيه) الذي امتنع عن الموافقة على ذلك، وأما الآن فإن الحكومة الحاضرة لا تمانع في ذلك.

وذكروا أن (هايتي) غنية بموارد عدة، إذ القهوة والكاكاو والموز وكثير من الذرة والأرز والكسافا وهو عروق كبيرة تكون في الأرض على هيئة البطاطس، ألا أنها مستطيلة خشنة، وهي من نبات العالم الجديد التي لم يكن العالم القديم يعرفها، وقد صارت غذاء رئيسياً للكثير من الأقطار الواقعة تحت خط الاستواء في إفريقية والكاربي وجزر المحيط الهادئ.

ولم يعرفوا سبب تسمية عاصمتهم باسم (بورت أو برنس) إلا أنهم قالوا إنها تعني ميناء برنس أو الأمير، وهذا ظاهر إلا أن الذي يحتاج إلى إيضاح هو أن نعرف سبب التسمية، ومن الأمير هذا إذا كان المراد بـ (برنس) الأمير.

وأما (هايتي) فإنهم أجمعوا على أن من لغة السكان الأصلاء في هذه المنطقة قبل أن يصلها الأوروبيون وهم المسمون بالهنود، ولكنهم لم يعرفوا معناه أيضاً، ولهم العذر في ذلك لتقادم العصر وانقراض أولئك المسمين بالهنود الأمريكيين، ولذلك يصح أن يقولوا في هذا الصدد ما كان علماء اللغة العربية الأوائل يقولونه في الكلمات العربية القديمة التي لا يعرفون معناها وهو: (لقد ذهب من يحسن معرفة هذا).

إلا أنهم ذكروا أن لها اسماً آخر سميت به عند فجر الاكتشاف في عام ١٤٩٢ وهو كيسكيا.

وقد حرص المكتشفون على استعمارها لأن أرضها كان فيها ذهب كثير في الماضي.

هذا وقد استمرت الجلسة معهم في المسجد حتى حان وقت العصر فأذن الإمام للصلاة، وصلينا معهم العصر.

ثم خرجوا بنا إلى المطار، وكان معنا منهم الإمام ونائبه الذي يقود السيارة، وهي التي كانت معنا منذ الصباح وهي سيارة قوية شبيهة بسيارات الجيب اليابانية.

سارت السيارة مع الطريق الفاسدة التي كنا عرفناها بذلك من قبل، ولم يخفف تكرار المرور معها من الشعور بفسادها، بل زاد لأنه خرج مع شوارع سيئة لم نمر بها من قبل من أجل أن يختصر الطريق، وقد اختصره بالفعل كما شعرنا به.

وقال أحدها: إن هذه الشوارع هي كما تركها آدم عليه السلام إن كان زار أرض هايتي هذه التي تقع في جزيرة من جزر البحر الكاريبي هي ثانية جزره من حيث المساحة، ورددنا عليه بأن الأمر ليس كذلك، لأنها في عهد آدم عليه السلام كانت أرضاً مستوية بكرة، هذا إذا كانت على حالتها التي نعرفها الآن في عهد آدم عليه السلام ولم تطرأ عليها تغيرات وتطورات، ولكن أياً كان الأمر فإنها ساءت عما كانت عليه عندما رآها المستكشفون الأوروبيون في القرن الخامس عشر الميلادي.

فلا شك في أن مياه المجاري التي تتسرب من بعض البيوت لم تكون موجودة فيها من قبل، والنفايات التي وجدت نتيجة لكثرة التغليف واستهلاك الخضرات وغيرها لم تكن فيها من قبل، والسيارات التي تحفر الطرق بحفر عميقة لا تجد من يصلحها ليست موجودة من قبل.

وهذا السيل الجارف من الناقلات الصغيرة التي حولوها بالفعل، حتى وإن لم يغيروا هيئتها ومقاعدتها إلى سيارات أجرة يتكدس الناس في ظهورها، وهو أكثر مايؤلمني من مناظر الطريق، إذ تقلقهم تلك السيارات بالرفع والخفض في حفر

الطريق، وأماكنه الفاسدة، وهم راكبون في صحن السيارة أو على جوانبها، وقد شدوا أنفسهم وتمسكوا بما استطاعت أيديهم أن تصل إليه من السيارة.

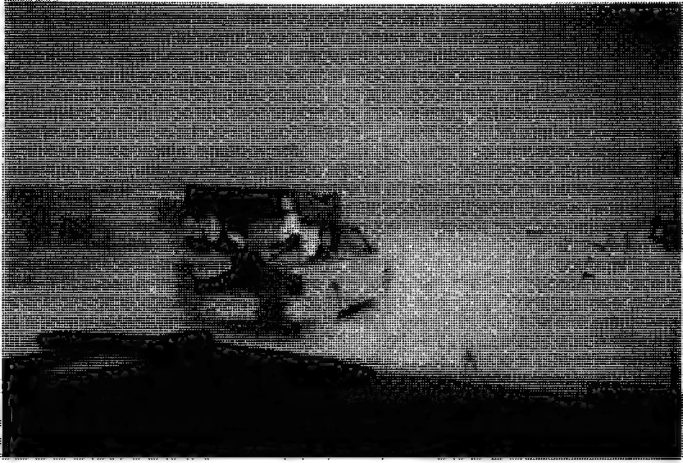
وقد ركد المرور وتوقفت السيارات التي ضاق بها الشارع مع تصاعد الغبار قبل وقوفها.

ولا أشجار في الطريق، والقليل النادر الموجود منها، قد ركبه الغبار، ويدخل الغبار أثناء تحرك السيارات إلى داخلها، فيعفر وجوه الركاب للجفاف.

ورأيت السيارات المتعطلة كثيرة في أركان من زوايا الشوارع أو الأماكن المتسعة.

والغريب الذي سمعناه من كثير منهم هو عدم الأمل بإصلاح الحال، فكلهم قال: الحكومة تأكل الأموال فقط، ولا تعمل، وكرر كثير منهم بأن سبب الحالة المزرية التي عليها البلاد الآن هو الحصار الاقتصادي الشديد الذي فرضته الولايات المتحدة الأمريكية على (هايتي) أربع سنوات متواصلة، مع هشاشة الاقتصاد، وإلا فإنها فرضت على كوبا المجاورة لهايتي الحصار لمدة ٤٠ سنة، ولم يؤثر ذلك فيها تأثيراً يعطل مسيرتها السياسية أو الاقتصادية، بل إنها تبدو كما لو لم تكن واقعة تحت حصار اقتصادي، فالشوارع مزفتة وأرصفتها مصانة، والمواد الغذائية الضرورية تؤمنها الحكومة، وأما الكماليات فإنها غير متوفرة كالسيارات الجديدة والآلات الحديثة إلا للدوائر الحكومية التي

تعلن أنها تشتريها باسم الشعب، وأنها من ممتلكات الشعب،
ه تستخدم من أجله.



بقايا الطريق الذي كان شارع المطار من العاصمة بورت أوبرنس

و كنت قلت لأحد المثقفين الهايتيين ما هو قول حكومتكم
إذا طرحت عليها مثل هذه الأشياء فقال: هي لا تبالي بالشعب،
حتى الشعب لا يهتم بمثل هذه الأشياء، وآخر قال لي: أمريكا تريد
ذلك، فأنشدت في نفسي قول الشاعر وأظنه أبا العلاء المعري:
وقد كان أرباب الفطانة كلما رأوا حسناً عدوه من صنعة الجنّ

وجنهم هنا هي أمريكا، ولم يخطر ببالهم أن يخالفوا إرادة
الجنّي الأمريكي، ولقد كان بإمكانهم النظر إلى جيرانهم
الكوبيين الذين ساروا ببلادهم رغم إرادة أمريكا، وإن كانت
سارت سيراً غير صحيح.

وقد بلغني أن رئيس جمهورية كوبا (فيدل كاسترو) قال لوفد هايتي زائر لكوبا: أنتم - يا أهل هايتي - أقدم أهل الكاريبي استقلالاً، فكيف لم تتطوروا إلى الأحسن مثل غيركم من أهل الكاريبي؟

وأما عامة الناس، ومنهم إمام مسجد هايتي الأخ عبد العلي فقد قال لي: أمريكا لا تريد للسود أن يترقوا.

لكن هناك أشياء مهمة للتطور المطلوب، فضلاً عن كونها بدهية من بدهيات واجبات الدولة مثل الأمن للتجار والمسافرين، وقد عرفت أن الأمن جيد في المدين على وجه العموم، وكذلك في القرى لأهل البلاد الذين لا يحملون معهم أشياء ذات قيمة، وأما التجار فإني سألت العربي المسلم الأخ طارق أحمد، فقال: الأمن طبيعي الآن، ولكن تحدث سرقات، ولا بد من وجود حراس، فنحن لدينا في محلنا التجاري وهو (السوبر ماركت) اثنان من الحراس من أهل البلاد، قلت له: ألم يحدث أن اتفق الحراس مع اللصوص على سرقة المحل؟ فقال: لا.

قال ولكن سرق لنا مصرف (بنك)، وذهبنا للشرطة وطلبنا منهم متابعة الأمر، وأن يقبضوا على اللصوص، فلم يفعلوا، ولما عاتبناهم على ذلك قالوا: لماذا نقبض عليهم؟

كانهم لا يرون وجوب معاقبتهم، وأظن ذلك كان بعد استحصال شيء من المال المسروق.

وأما التجارة والأعمال التجارية فإنها جيدة حسبما أخبرني به

العرب، وأخبروني أنهم لا يشكون من شيء فيما يتعلق بالتجارة.

اثر الإصلاح الوحيدي:

قبيل الوصول إلى المطار من الطريق الذي سلكه بنا نائب الإمام إلى المطار ضاق الطريق وتعطل المرور، فوقفنا طويلاً، وذلك بسبب كونهم يصلحون جانباً من الطريق بدؤوا به دون الجانب الذي تمر به السيارات فضاق بها، ولو كان في بلاد مثل بلادنا لجعلوا خارج الطريق الذي هو تحت الإصلاح ما يسمى بالتحويلة، أي طريق مؤقت يستعمل حتى يتم العمل بالطريق العام.

وقد وقفنا ونحن نشاهد مبنى المطار أكثر من نصف ساعة لا نستطيع ترك السيارة وسط الشارع، بل لا نستطيع ترك الإخوة الذين خرجوا معنا إلى المطار، ولكن الوقت متسع، فقد خرجنا إلى المطار مبكرين.

وشاهدت عدداً من السيارات الصغيرة الجديدة واقفة مع غيرها كما كنت شاهدها في شوارع المدينة، فأخبروني أنها من المغتربين (الهايتيين) في أمريكا وفرنسا، أي أن النقود التي اشترت بها هي مما كان حصله أهل هايتي الذين يعملون في الولايات المتحدة أو فرنسا وهم كثير.

وصلنا إلى المطار فوجدنا في مكتب الترحيل امرأة من الوطنيين الهايتيين، كانت معاملتها جيدة تتسم بالذوق، وهذا أمر عرفناه من أهل هذه البلاد في المعاملات الفردية، إذ تجدهم جيدين في المعاملة، والأخذ والرد مع الأجانب، ولا يظهرون العداء لهم، بل

فأيقني من السفر إلى هايتي

لا يشعر الواحد إذا عاملهم إلا أنهم مثل غيرهم من أهل الكاريبي أو أفضل من غيرهم، لذلك يزداد عجبه من أن تكون المرافق العامة في بلادهم على مثل هذه الدرجة من السوء.

ماسح الأحذية عند ضابط الجوازات:

دخلنا إلى منطقة الترحيل وودعنا الإخوة الكرام أهل هايتي، وتجاوزنا الفاحص الكهربائي للحقائب، ففوجئنا بوجود ماسح أحذية جالس على الأرض عند مكاتب الجوازات، أي في المنطقة التي لا يصل إليها إلا من يريدون الرحيل.

وهذا أغرب شيء رأيته وإن كان يرمز إلى معنى لطيف هو أن المسافر إلى بلد ما قد يستقبله من يريد أن يبدو أنيقاً في عيونهم، فيحتاج إلى من يمسح حذاءه إضافة إلى ما قد يدره ذلك من دولارات سواء كان لإدارة المطار أو لجهة أخرى.

وانتقلنا بعد الجوازات التي انتهت مثل غيرها من الإجراءات في المطار ببسر وسهولة إلى قاعة المغادرة، ولا بأس بسعتها وكثرة الكراسي فيها، وليس فيها إزعاج إلا من موسيقى وطنية ظلت تواصل عزف ألحان وطنية رتيبة مملة ليس فيها تغيير ولا تنوع.

وعند الخروج من الطائرة كان فاحص أمريكي لحقائب الركاب على سيارة واقفة وهو أيضاً شيء غريب لم أشاهد مثله من قبل، أدخلنا فيه الحقائب اليدوية، وربما كانوا فحصوا فيه الحقائب الكبيرة من حيث لم نرهم، وموظف أمريكي ينظر في جواز كل راكب من الركاب، فهم في هذا الأمر لا يعتمدون على

ما يجريه أهل المطار من إجراءات، وإنما يفعلون ذلك بأنفسهم، لأن الطائرة أمريكية ومسافرة إلى أمريكا.

ومع ذلك فأهل هايتي أكثر محافظة على كرامتهم وكرامة بلادهم من أهل الباهاما وبرمودا وكندا الذين تكون للجوازات والجمارك الأمريكية مكاتب في مطاراتهم مستقلة، تتم فيها سائر الإجراءات من قبل الأمريكيين، وقد ذكرت ذلك في كتاب: «تلبية النداء لزيارة كندا»، وكتاب: «التشريق بعد التغريب في بحر الكاريب».

من بورت أو برنس إلى ميامي:

إن المرحلة الثانية من جولتنا هذه في منطقة الكاريبي هي السفر إلى جزر البهاما، ولكن لا يوجد طيران مباشر من هايتي إليها، لذلك جعلنا خط سير الرحلة يمر بعد هايتي إلى مدينة ميامي الأمريكية، وهي أقرب الأرض الأمريكية إلى هايتي والبهاما، وانتهزنا فرصة وجودنا غير المقصود في (ميامي) بالتجول فيها مما سوف أقصه عليك، وإن لم يكن داخلاً في الحديث عن هايتي ولكنه متصل به.

قامت طائرة شركة (أمريكان إير لاين) التي ركبنا معها من مطار (بورت أو برنس) في الساعة إلا ربعاً وقد حل الظلام، فحرمنا من الاستمتاع مرة أخرى برؤية هذه الأرض الغريبة عنا، ولم تكن أنوار المطار ساطعة، ولكنها كافية بطبيعة الحال.

الطائرة من طراز بوينغ ٧٢٧ مثل التي قدمنا معها إلى هايتي،

فأيتي من السفر إلى هايتي

وكان ركوبنا في الدرجة الأولى فيها، وهي التي وصفتها فيما سبق، والركاب فيهم أمريكيون بيض، وفيهم سود من الأمريكيين والهايتيين، يكادون يتناصفون مقاعد الطائرة فيما بينهم.

لم يكن في الطيران أية متعة، لأنه كان في الظلام، وأكثره فوق مياه البحر الكاريبي التي تقع ميامي أيضاً على ساحله، وكانت معتبرة من موانئ البحر الكاريبي، بل كانت تابعة في وقت الاستعمار الفرنسي لهايتي، فكانت تدار من هناك، وليس المراد بذلك كل ولاية (فلوريدا) التي تمثل ميامي قسماً منها الآن، وإنما المراد بها هذا الطرف الضيق من القارة الأمريكية الشمالية الواقع على شواطئ البحر الكاريبي.

وصلت الطائرة إلى سماء مدينة (ميامي) فبدت أنوارها حتى على البعد ساطعة، وتكثر الشوارع ذات الأنوار الصفرة فيها، وهي الطريق السريعة المسماة بالهاي وي.

الا أنني وجدت أنه لا يكاد يوجد فرق بين منظر ميامي في الليل ومنظر مدينتي جدة أو الرياض من حيث استقامة الشوارع أو كثرة الأنوار وسطوعها، إلا أنه يخيل إليك هنا أنهم يسرفون في الإضاءة فوق ما يحتاجون.

وأجمل ما في هذه المدينة منظر الشوارع المستقيمة المضاءة بالأنوار الصفرة.

أما السيارات التي تجري في الشوارع فإنها كثرة يعجب لها

المرء لولا أنه يتذكر أنه ينظر إلى مدينة أمريكية، وأن أمريكا مشهورة بكثرة سياراتها واتساع شوارعها، وانسياب المرور فيها.

وما شبّهت جريان السيارات في هذه الشوارع الآن إلا جريان الدماء في شرايين الإنسان، لأنها تجري في عدة شوارع، وهذه الساعة الآن وهي الثامنة يكون فيها مرور كثيف.

هبطت الطائرة في الثامنة وخمس دقائق بعد طيران استغرق ساعتين إلا ربعاً، وكان من المناظر غير المألوفة أن وجدنا في انتظار الطائرة ضابط أمريكي أسود يوقف المسافرين القادمين، وينظر في جوازاتهم عند مدخل الطائرة مما يلي المبنى، مع أن مكاتب الجوازات هي أمامهم بعد مسافة قصيرة، وأنهم قد جعلوا ضابطاً في مطار (بورت أو برنس) يفحص جوازات الركاب، ولكنهم خشوا أن يكون أحد مختبئاً أو أن يكون أحد قد أركب ممن لا يحق لهم الدخول إلى أمريكا بدلاً منه.

وهذا الضابط فارغ الطول، قوي البنية، ينظر في الصور التي في الجوازات ويقارنها بوجوه حاملها، كما كان ينظر أيضاً ويدقق النظر في سمات الدخول الموجودة على كل جواز.

في مطار ميامي ثانية:

أسرعنا إلى مكاتب الجوازات فكنا أول الداخلين إليها على الإطلاق، إذ كانوا قد أفسحو الطريق لركاب الدرجة الأولى قبل غيرهم، ولكن تبخر أملنا في سرعة الانتهاء، لأن ضابط الجوازات لم يجد أننا ملأنا بطاقات القدوم واستبيان

الجمرك، فأشار إلى ناحية إلى الخلف فيها تلك الأوراق، فأخذ صاحبي يملؤها للجوازين: جوازي وجوازه، ومع ذلك انتهينا بسرعة، لأنه لم تصل طائرة أخرى معنا لحسن حظنا، وتجاوزنا الجمرك أيضاً بدون وقوف.

وذهب صاحبي إلى مكتب الحجز للفنادق، وجلست عند الحقائق على كرسي مريح، ثم عاد مسرعاً ومعه امرأة كلمتني بالإسبانية، فكلمتها بما أعرفه من البرتغالية ففهمت، ومن ذلك أنها أخرجت لفافة تبغ لتدخن فأبعدت عنها لئلا يصيبني شيء من دخانه، فقالت بالإسبانية: هذا غير جيد، تعني الدخان، وإن الجيد هو اللب. قلت: نعم، ومع اللب الأشربة النافعة من عصير البرتقال وغيره.

قالت: لكنه جيد لي، وتتهدت بحسرة وهي سمينة ثقيلة في حدود الخامسة والأربعين، ولها الحق إذا شعرت بألا أحد من رجالها يميلون إليها.

ذكرت أن أصلها من كولومبيا، وأنها تعيش في أمريكا منذ صغرها.

وذكرت المرأة أن أجرة الفندق الذي هي وكيلته ٧٩ دولاراً، وأنه من ذوات النجوم الأربع.

وقد جاءت تنتظر سيارة الفندق، وهي حافلة كان ينتظرها معنا (٤).

كنت ألاحظ الناس ونحن في انتظار الحجز في الفندق، وفي انتظار سيارته، فأجد أن الأمريكيين هنا غلاظ الأجسام، سمان إلى درجة يرثى لها، بل إن الإنسان ليعجب من بعضهم كيف يستطيع أن يحمل جسمه، وبعضهم كيف لا يخجل من منظره فيحرص على أن يخفف من وزنه عن طريق تقليل الأكل، وعن طريق الرياضة، وأكثرهم متجهمو الوجوه، عابسو القسمات، حتى يخيل إليك أنهم ليسوا سعداء في الحياة، أو أن أكثرهم ليسوا كذلك.

والأمر لا شك في أنه حقيقي، لأن أكثرهم ليسوا من المتدينين، والتدين هو الذي يمد الإنسان بالسعادة الروحية، لأن الإيمان يفعل ذلك.

وحتى ابتغاء الجمال في الملابس والمظاهر ليس موجوداً هنا بالقدر الذي هو موجود في أوروبا، فأكثرهم يلبس كيفما اتفق، إلا من كان موظفاً لشركة أو مؤسسة توجب عليه أن يلبس لباساً خاصاً، لأن لموظفيها زياً معروفاً معيناً.

ثم جاءت سيارة الفندق وهي حافلة صغيرة، فركبت وكيلة الفندق معنا، وقد زاد الركاب واحداً، وكلهم حاجز في الفندق الذي نذهب إليه، واسمه: (ديز إن) وديز جمع دي بمعنى اليوم، وأنّ: معناها الداخل أو ادخل، وقد ترجمت بمعنى نُزل بضم النون والزاي وفندق.

سارت الحافلة الصغيرة وقد امتلأت بالركاب مع شوارع

أنموذجية، ولكنها لا تبعد عن الشوارع الرئيسية في مدنتنا كثيراً، حتى فيما يتعلق بالجسور والأنفاق، وإن تكن الأنفاق عندهم أقل مما هي في مكة المكرمة.

عندما وصلنا الفندق الذي يقع موقعاً قبل قلب المدينة رأينا عند الاستقبال عدداً ضخماً من الناس الذين يسجلون أسماءهم للدخول فيه.

وجدنا في مكتب الاستقبال فيه امرأتين سوداوين على غاية من الدقة في العمل وسرعة إنجازهما، وحسن معاملة النازلين، ولم يفعلوا إلا أن قيدوا رقم بطاقة الائتمان ثم أعطونا مفاتيح الغرف، ولم ندر إلى أين نتجه لأن الفندق كبير، فدلونا على غرفتنا وتقع في الطابق الخامس، ولكن فيه مصعد كبير.

ولم يكن معنا من موظفي الفندق أو عماله من يخدمنا، بأن يحمل حقائبنا، فذهبنا بها، نسحب منها ما يسحب، ونحمل ما يحمل.

وجدنا الغرف واسعة جداً، كل غرفة فيها سريران مزدوجان، أي يصلح الواحد منهما لاثنتين، ونحن لا نريد ذلك، لأن كل واحد منا وحده في الغرفة يكفيه سرير لشخص واحد.

وفيهما جهاز للتلفزة فيه ٥٩ قناة، ذكروها في دليل وضعوه فوق الجهاز، ولكن ليس فيها ثلاثة، وهذا تقصير عجيب، إذ الثلاث الآن ولو كانت صغيرة أصبحت من لوازم الفنادق، بل حتى الأنزال والغرف المفروشة، وربما كانوا قصدوا من ذلك أن

يتناول النزيل ما يحتاجه من ماء بارد أو عصير من مقصف الفندق.
وأكثر ما قيها الأدراج الواسعة التي توضع فوقها الأشياء
مثل الخزائن الصغيرة القصيرة (الكامادينو)، ومثل هذه الغرفة لا
تساعد النزيل على ضبط ما يكون معه مما يحتاج إلى إخراجه
كالقلم والساعة ونحوهما، لأنه يضطر إذا أراد المغادرة أن يبحث
في كل الأدراج والخزائن الصغيرة لئلا يكون نسي فيها شيئاً.

يوم السبت ١٩/١٢/١٤٢٠هـ - ٢٥/٣/٢٠٠٠م

جولة في مدينة ميامي:

ليس لنا في مدينة ميامي إلا بياض هذا اليوم، إذ المقرر أن نسافر في السابعة من صباح الغد إلى جزر البهاما، لذلك رأينا أن نقوم بجولة في ميامي مع إحدى الجولات السياحية.

وقبل ذلك أفطرنا في مطعم الفندق، فكان الداخلون إليه من ذوي الوجوه المتجهمة، فالجفون منتفخة والعيون ذابلة، وخطوط السنين أو الهموم والغموم هي التي تطالعك أول ما تنظر إليهم، والغلظ في الأجسام، والثقل في الابدان هو الظاهر، والأهم من ذلك أنك لا تكاد ترى مبتسماً هذا الصباح.

ويخيل إليك أن غذاءهم ليس على ما يرام، مع أنهم يشكون من كثرة الغذاء لا من قلته، وأنهم يصدرون فائض ما ينتجونه إلى الجوعى في العالم على هيئة معونات إنسانية، أو على هيئات سلع تجارية، والسود فيهم في هذا المطعم والفندق أكثر من البيض، وهم السود الأمريكيون.

على أنه يجب ألا ينسى المرء أن الأمريكيين الشماليين أنشأوا دولة عظيمة هي أقوى دول العالم على الإطلاق، وهي الآن أغناها من دون منازع، بل هي سيدة العالم، وليس ذلك على العالم الأرضي فقط، بل تعداه إلى ما بعد الأرض، فهم أول من هبط على سطح القمر، وأول من دارت سفنهم الفضائية حول الكواكب البعيدة كالمشتري وزحل.

وأول من أرسل سفينة فضائية إلى خارج النظام الشمسي.

وما يزال الأمريكيون يتحكمون بمصائر كثير من الدول الضعيفة، ومنها بعض الدول الإسلامية التي لو كان لها إيمان قوي بالله لما انقادت إلى أمريكا ذلك الانقياد الأعمى.

بدء الجولة:

بدأت الجولة في الثانية عشرة والرابع حيث مرت بنا حافلة الشركة، وهي صغيرة مكسوة حوائطها بالمخمل، وكنا أول الركاب فيها، وقال: سناخذ غيركم من فنادق أخرى.

وانطلقت مع شارع سريع (هاي وي) تركب جسوراً يكون فوقها في بعض الأماكن جسور أخرى أو تكون هي فوق جسور أخرى، ومررنا على شاطئ من الشواطئ البحرية، لأن منطقة ميامي فيها عدة خلجان، وهي الألسنة من البحر داخلة في اليابسة.

ولم يتكلم السائق الذي هو الدليل، وهو يشبه في المظهر أهل نجد، بل أهل القصيم، وعرفنا بعد ذلك أنه من كولومبيا في أمريكا الجنوبية، ولذلك كان كلامه وشرحه لما يمر به عندما بدأ الكلام بالإسبانية والإنكليزية يعاقب بينهما.

وعندما رأيت عنايتهم بالشوارع السريعة وغير السريعة، ورأيت أسباب حركة السيارات عرفت أهمية المواصلات في إنجاز أعمال الناس، وتوفير أوقاتهم الثمينة بحفظها من الضياع بالشوارع، أو الطرق كما تفعل بعض الدول المتخلفة، إضافة لما

يسببه التأخر في الطرق المزدحمة من تلويث الهواء والخطر على الصحة.

ومررنا بطائفة مجتمعة من اليهود عليهم شعارهم من (الطواقي) وهي القلانس الصغيرة اللاطئة التي أغلبها أسود أو مزركش بأزرق.

وصلنا إلى داخل مدينة ميامي، ومع ذلك لم نفارق مرأى الترع والخلجان البحرية لما ذكرته.

وقد غرسوا أشجاراً من النارجيل عليه، ولكنها ليست نضرة، ربما كان ذلك لبعدها عن خط الاستواء، والمنطقة في الحقيقة لولا الوضع الجغرافي المحلي لها لصارت صالحة لفرس النخل نخل التمر، وقد رأيتهم غرسوا بالفعل نخلات غير بعيدة من فندقنا، ولكنها لا تثمر - بالتأخر - لأن من شروط التمر أن يوجد لنخله صيف حار جاف، لأن المطر الكثير يفسد التمر.

ومع ذلك فإنهم نظموا هذه المدينة مثل غيرها من المدن الأمريكية تنظيماً فخماً أي أنه يجنح للفخامة وليس البساطة رغم ما يتطلبه ذلك من نفقات ضخمة، لا يشق عليهم تحصيلها لأن الشعب يعمل وينتج، فتجني البلديات من ذلك ضرائب كثيرة كافية، وكانت نتيجة تنظيم بلادهم أن تفرغ المسؤولين للتحسين والتقدم بالبلاد، وبالأعمال التي تترب على ذلك.

وقد وصلنا إلى خليج آخر من الخلجان الموجودة في المدينة أو التي وجدت عليها المدينة.

ولكن يلاحظ أنه مع تنظيم الأماكن والعناية بها، ومع مظاهر الغنى بل البذخ في المنشآت فإن الشعب الذي رأيناه كثيراً في شوارع المدينة وأرصفاتها، يبدو في ملابس يخیل إليك أنها رخيصة لأنها غير معتنى بها، ولا تلقى بالاً للملابس الإفرنجية الكاملة كما يكون في أوروبا.

وهذا عام للرجال والنساء اللائي تخففن من ملابسهن بحجة أن الجو حار أو ليس ببارد، وربما كان بعضهن قد قدمن من مناطق أمريكية شمالية باردة.

فالسروال القصير هو الشائع على الرجال والنساء لا يكون فوقه إلا صدري خفيف ليس جميلاً، ولا لائقاً حسبما يراه الناس لأنه قد يكون واسعاً أو ضيقاً، وميله للسعة المفرطة أكثر.

بوابات الجبابة:

مررنا بشارع عريض ذي اتجاه واحد للمرور، عليه مراكز الجبابة من السيارات التي تمر به، وهي بوابات معتادة صارت الآن موجودة في كثير من البلدان.

وهذا مظهر من مظاهر تعلقهم بالدولار، بل توقف جميع أعمالهم عليه، بحيث یخیل لمن يراهم كذلك أنهم عبدة الدولار.

كلام الدليل:

بدأ الدليل كلامه قائلاً: نمر الآن من الساحل الجنوبي من مدينة ميامي، وتكثر هنا الفنادق والمطاعم، وعلى اليمين مكتبة

وقال: لقد بدأت العمارة في ساحل ميامي الجنوبي هذا ما بين ١٩٤٠م و ١٩٥٠م، ثم أشار والسيارة تسير إلى فندق ذا كراً أنه اكتمل بناؤه في عام ١٩٨٠ ، وأتينا الآن في المناطق التجارية من الساحل الجنوبي.



المؤلف في قلب مدينة ميامي

وقال: في هذه المنطقة مرافق مهمة، مثل دور السينما، ثم صار يذكر أبنية غير مهمة مما يدل على افتقار المدينة للأماكن الأثرية أو الأماكن الجديدة بالذكر.

هذا وقد اكتمل السياح الذين معنا فصاروا سبعة غيرنا.

منطقة النوادي الكلية:

أشار الدليل بانتباه إلى أبنية وأماكن مررنا بها قائلاً: إنها

نوادٍ ليلية، وذكر أن هذه المنطقة تزدهم في الليل.

وكان يذكر ذلك ونحن نسير في شارع الشاطئ الذي يسمى بالإسبانية بالماليكون، وعهدنا أن يكون كذلك في أكثر المدن من المستعمرات الإسبانية السابقة، وفي ميامي جاليات تتكلم الإسبانية، ربما لا يعرف بعض أفرادها حتى اللغة الإنكليزية، فلا يستعملون إلا الإسبانية.

وشارع الشاطئ أو (الماليكون) ليس فاحراً، بل إن شارع الشاطئ في جدة مثله أو أحسن منه، وإنما الشيء القديم فيه هذه الشجرات من النارجيل التي غرسوها وأحسنوا ترتيب غرسها على جانبيه.

المنطقة الفرنسية:

قال الدليل: هذه المنطقة كانت فرنسية، ولا يزال فيها حتى الآن ٤٥٠ مبنى فرنسياً، ولم يقل: إن الفرنسيين كانوا يملكون هذه المنطقة، وأنهم كانوا يديرونها من مستعمرتهم السابقة (هايتي) التي قدمنا منها.

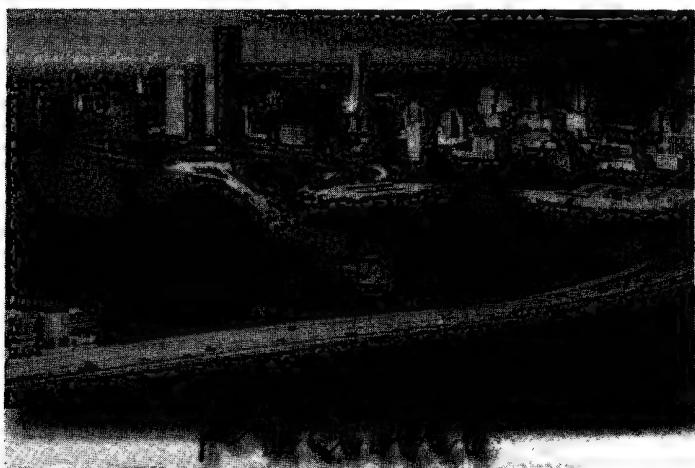
ثم دخل شارعاً مهماً اسمه (شارع واشنطن)، بجانبه قاعة الشعب والمحكمة العليا، وسار فترة ثم عاد إلى القول وهو يشير إلى عدة محلات: إن هذه نوادٍ ليلية، ثم مر بشارع رئيسي قد غرسوا عليه أشجار النارجيل وقال: هنا يوجد فندق (ميرديان)، وهكذا يعلن إفلاسه حيث لا يجد ما ينوه به إلا هذا الفندق وأمثاله مما ليس له ماضٍ مهم، ولا مظهر يعتدّ به.

وذكر بأن سكان هذه المنطقة هم ٩٥ ألفاً، منهم ٤٠ ألفاً من اليهود، وبذلك تكون أكثر مناطق ميامي ازدحاماً باليهود، وسوف يأتي ذكر عدد السكان في ميامي وبيان طوائفهم.

الجزيرة الرابعة والعشرون:

وصل الدليل وهو يسرع بسيارته إلى جسر على خليج واسع من البحر أشار ونحن فوقه إلى مكان سماه (الجزيرة ٢٤) أي ذات الرقم ٢٤.

ثم ركب جسراً طويلاً آخر على البحر حتى وصلنا إلى ميناء ميامي على اليسار، ورأينا الميناء حافلاً بالسفن في صفوف منتظمة، بعضها كبير ذكر أنه للركاب، وأنه يركب في الواحدة منه (٢٥٠٠) راكب، وذكر أن مجموع الأشخاص الذين يترددون على الميناء للركوب أو التنزه أكثر قليلاً من ثلاثة ملايين راكب في السنة.



جسر ميناء ميامي

والميناء كالخليج من البحر الداخل في البر، بعده إلى جهة المدينة أبنية عالية متعددة الطبقات، وأبنية ضخمة نوه السائق بضخامتها وتعدد طبقاتها حتى قال: إن أعلاها يصل عدد الطبقات فيه إلى خمس وخمسين طبقة.

الهاي وي:

تعني كلمة (هاي وي) طريقاً سريعاً محمياً من الجانبين، بحيث لا يدخل على من فيه سيارات من خارجه إلا مع مداخل واضحة مرقمة، ولا تدخل إليه دخولاً مباشراً، بل هو متدرج، لذلك يكون السير فيه مريحاً.

وقد أصبح هذا (الهاي وي) جزءاً من الحياة الأمريكية بحيث يعرفه كل من سكن الولايات المتحدة الأمريكية، بل كل من تجول فيها.

وقد انتشر وجوده في بلدان أخرى عديدة، ومنها بلادنا ولكننا أسمىناه الطريق السريع، ومع أنه ليس المراد بذلك مجرد سرعة السيارة فيه، وإنما لكونها لا تقف ولا تضايقها فيه سيارات معترضة أو مزدحمة.

وهذا الطريق (الميامي) السريع معتنى به غاية العناية، لا من حيث السعة والنظافة، فهذا أمر بدهي صار معروفاً للجميع، وإنما للافتات والإرشادات العديدة، بل المسرفة بالكثرة حوله، سواء للخروج منه أو الدخول فيه.

وصلنا ونحن مع هذا الطريق السريع إلى (أوفر تاون) أي أعلى المدينة، وقد ركبنا طرقاتاً تحت هذا الطريق السريع، بعضها طبقتان تجري فيها كلها السيارات الكثيرة.

وذكر الدليل أن هذا الطريق يربط المدينة بشمال البلاد الأمريكية، وبلغ طوله ٤٠١٠ كيلومترات.

اللغة الإسبانية:

أول ما يسترعي انتباه المتجول في هذه المدينة كثرة الذين يتحدثون باللغة الإسبانية، وكثرة اللافتات التي كتبت بالإسبانية إلى جانب الإنكليزية.

قال الدليل وقد وصلنا إلى مقر حكومة المدينة أي متمر الحاكم: إن معظم السكان هنا هم من أمريكا الجنوبية .



المؤلف في أحد شوارع مدينة ميامي

وهذا أمر معروف للجميع، حتى إنهم أكثر فئات السكان فيها.

والملاحظ أنه رغم سعة المدينة وكثرة الخلجان فيها، وتباعد أركانها، فإن الطرق والجسور وكثرة المواصلات قد قربت بين أجزائها، حتى صار الوصول إلى أي جزء منها سهلاً، بل أكثر سهولة من الوصول إلى حي من أحياء مدينة من المدن الصغيرة في البلدان المتخلفة في الإدارة والاقتصاد.

ميامي أفنيو:

وأفنيو تعني الطريق الرئيسي الواسع، لا سيما إذا كان طويلاً مستقيماً.

وصل السائق بسيارته إلى شارع واسع على البحر قال اسمه: (ميامي أفنيو) أي طريق ميامي أو شارع ميامي، وهو ذو اتجاهين في السير تفصل بينهما جزيرة فيها أعشاب كالوحشية من دون زهور.

ولم يقف السائق في هذا الشارع المهم لنتمكن من التقاط صورة له ولما حوله، كما لم يكن قد وقف عند الأماكن الأخرى، فذكرت له ذلك فقال: سوف نقف في قلب المدينة، وهناك يمكنكم ان تأخذوا ما شئتم من الصور.

لم يكن هذا كافياً بالنسبة للسائح مثلي الذي يريد أن يلتقط صوراً لأماكن متعددة يختار منها ما يراه صالحاً للنشر

والعرض على القراء.

وجعلت أقول في نفسي وأنا أرى هذه الشوارع الواسعة المعتنى بها، والجسور العظيمة التي يركب بعضها بعضاً في كثير من الأماكن: أين هذه من شوارع هايتي البائسة المليئة بالحفر والنقر، بل الفارغة من الزفت وما يمكن أن يحسن من السير على الطريق؟

ووجدتني أجيب نفسي بنفسي: إن ذلك هو ما فعله أهل هايتي بأنفسهم عن طريق التقصير في العمل، هم يقولون: إنهم مظلومون من الولايات المتحدة الأمريكية التي حاصرتهم حصاراً اقتصادياً محكماً لمدة أربع سنوات، ولكن: ألم تكن أمريكا نفسها قد حاصرت جارتها كوبا منذ أكثر من ٤٠ سنة، ولا تزال تحاصرها حصاراً محكماً، ومع ذلك فشوارعها نظيفة، وأرصفاتها لا توحى بأي حصار! ثم إذا كانت أمريكا أو غيرها من القوى الكبيرة تريد سوءاً بشعب أو حكومة ألا يكون بمقدور ذلك الشعب أن يعكس إرادتها، بأن يعمل أعمالاً ترد كيدها في نحرها، أو على الأقل تقلل من ذلك، كما فعلت كوبا، ولماذا يفترض في الشعوب المتخلفة أن تكون كما يريد لها الأقوياء فتستجيب لذلك، ولا تحاول أكثر من الشكوى؟

منطقة الأيرانديين:

أشار الدليل إلى مبنى ضخم، ذي ملاحق عديدة، وقال: هذا أكبر مستشفى كاثوليكي في المنطقة.

ومرة أخرى قلت في نفسي: لماذا لا يكون هناك مستشفى

إسلامي ظاهر يتولى العمل فيه أطباء مسلمون يعالجون المسلمين الفقراء بالمجان، يكون ذلك بمثابة القاعدة المتبعة، كما يتولى علاج الفقراء العاجزين عن دفع نفقات العلاج من غير المسلمين بالمجان أيضاً، فيكون في ذلك دعاية للمسلمين ودعوة إلى الإسلام؟.

والكلام موجه في هذا وأمثاله لحكومات الدول الإسلامية ولأطبائها وأثريائها، وهم قادرون على ذلك، لا سيما إذا أحسنوا العمل في المستشفى، وأحسنوا السير بالإدارة، فإنه سوف يكون عملاً مربحاً أيضاً، أو لا تترتب عليه خسائر على الأقل.

وذكر الدليل وهو نفسه من جمهورية كولومبيا في أمريكا الجنوبية، ومظهره ولونه كالعربي: إن هذه المنطقة هاجر إليها الأيرلنديون منذ عام ١٨٢٠م.

وصلنا في تجوالنا الذي لم يتوقف على شاطئ البحر إلى منتجعات، فذكر أنه يوجد في ميامي ٢٢٢ منتجعاً، وقد امتلأ ميناء للقوارب بالقوارب المعدة للتزحزح أو الاستعمال الخاص للتنقل في البحر.

كما مررنا ببحيرة ميامي كما سماها، ولم نقف عندها.

وقفة في المدينة:

قال السائق: سوف نقف في هذا المكان من المدينة لمدة ١٥ دقيقة، ويجب أن تدفعوا لي الآن قيمة تذاكر الجولة، ولم

نكن دفعناها من قبل. ودفعنا له بالفعل الأجرة ٣٢ دولاراً عن كل شخص .

سألته عن اسم هذه المنطقة فقال: (كوكن قروف) وهي منطقة من المدينة تجارية نظيفة، بل فاخرة، أبنيتها ليست عالية، ومتاجرها متلاصقة، حافلة بالسلع.

وهذه أول وقفة رئيسية في هذه الجولة

كانت الشوارع حافلة بالناس وإن لم يكن ذلك إلى درجة الازدحام، ولاحظت غلبة اللون الأمريكي الجنوبي في هذه المدينة الذي هو يشبه اللون العربي، إلا أن هذه المنطقة يلمح المرء جمالاً غير معهود في بعض الماشيات على أرصفتها، وربما كان ذلك من أثر هجرة الأيرلنديين وسكناهم فيها مدة طويلة، وإن كان أهل أمريكا الجنوبية قد كاثروهم عليها حتى غلبوهم .

ذهبت أتجول في الشوارع، وأحسست أنني بحاجة إلى دخول الحمام، لأنني شربت شاياً كثيراً أول الصباح، فدخلت ما يشبه المقصف، وقصدت محلات قضاء الحاجة فيه وأنا أتلقت حذراً من أن يراني أحد، لأنني لم أجلس في المقصف لضيق الوقت، وعندما دخلت إلى المكان وجدت بابه مغلقاً، فكنت أحاول فتحه من دون أن أتصور أنه مغلق، وإذا بمدير المقصف يأتي وهو يبتسم ويعطيني مفتاحه، ولما فرغت منه ذهبت لأعطيه المفتاح وبعض النقود، فأبى أن يأخذ شيئاً، فقلت له: إنني لم أتناول شيئاً من مقصفكم لأنني مع جولة سياحية ليس فيها وقت كافٍ للجلوس، فابتسم مرة

أخرى وقال: شكراً لا داعي لأن تدفع نقوداً.

عدنا إلى السيارة بعد انقضاء الوقت المحدد، ولكن السائق لم يعد إلا بعد عشر دقائق إضافية.

بهاما الصغرى:

انطلق السائق بسيارته من هذه المنطقة الجميلة وقال: نحن ذاهبون الآن إلى منطقة تسمى (بهاما الصغرى)، لأنه في القرن التاسع عشر استوطن أناس من أهل جزر البهاما فيها، وقد بقيت نماذج كثيرة من منازلهم أرانا عدة منها، ولكنه لم يقف لنصورها.

مع أنني قلت في نفسي: إنني سوف أسافر غداً إلى (جزر البهاما) - بإذن الله - وسوف أحاول أن أكتب فصلاً عن مشاهداتي فيها.

ومنازل بها ما هذه هي ذات طابق واحد أبيض الطلاء في الأغلب، وذات سقوف حمراء، مبنية بلبن الإسمنت.

وتقع في آخر منطقة (كوكن قروف) التي كنا وقفنا في قلبها التجاري.

المدينة الجديدة:

لم يتمهل الدليل وإنما واصل سيره قائلاً: إننا نصل الآن إلى محلة (كورتيفو) وهي مدينة جديدة في جانب مدينة ميامي، أسست في عام ١٩٠١م، بدأ تأسيسها رجل اسمه (جوش ميك)،

فأبقي من السفر إلى هايتي

وقد غدت مدينة جيدة ذات بيوت مقدماتها حدائق واسعة مزينة
بالزهور، وكذلك مؤخراتها خضر مزدهرة.

سبع عشرة قناة:

مررنا فوق قناة بحرية فقال: إن هذه القناة هي واحدة من
(١٧) قناة في مدينة ميامي، وكلها من مياه البحر.

وقد جملوا شواطئ هذه القنوات، وبنوا على أكثرها المنازل
الجميلة العالية، حتى غدا البحر كأنما لا يشبه بحر هايتي، مثلما
أن منازلها لا تشبه منازل هايتي.

وذكرت بهذه المناسبة ما ذكره الجاحظ في كتاب
(الحيوان) عن أحد أصحاب النكت وال نوادر أنه إذا رأى رجلاً
قصيراً نحيفاً ذكر اسمه قال: إن خالق هذا - وأشار إليه - وخالق
الفيل واحد، وهو الله سبحانه تعالى.

هذا وقد استمر السير وما تزال الشوارع الواسعة تعترضنا
فيركبها طريقنا أو تركبه، ولا يتعطل أحدهما عند الالتقاء بالآخر.

وكل هذه الشوارع تغص بالسيارات حتى يخيل إليك أنها في
استعراض، وهي أيضاً تسرع وكأنما هي في سباق حتى وصلت
سيارتنا وهي حافلة صغيرة - كما قدمت - إلى حي جديد خالٍ من
المتاجر، فيه القنصلية الإسبانية، وكل المنازل فيه لها مقدمات
خضر واسعة.

ورأيت في الحي كنيسة ذكر الدليل أنها بنيت في القرن

السابع عشر، وقد أصبحت الآن فندقاً، وإن كان مظهرها مظهر الكنيسة.

وهذا دليل من الأدلة الكثيرة على إفلاس كثير من الكنائس حيث يقل عدد الذين يرتادونها للصلاة والعبادة، أو يعدم فيبيعها أهلها لمن يستعملها في غير أغراض الكنيسة، أو يؤجرونها لمن يكون كذلك.

وقد نوه الدليل بأن الذين بنوا هذه الكنيسة هم الإسبان.

وأشار بعد ذلك إلى مبنى فيه بركة فخمة للسباحة ظاهرة من الشارع، ذكر أنها توجر للسباحين، بمعنى أنه يمكن لمريد السباحة أن يدخل فيها فيسبح لفترة قصيرة بخمسة دولارات، وإذا زادت مدة لبثه عن المعتاد زادت الأجرة عليه.

وهذا أمر جيد، لأن الدولارات الخمسة يمكن أن يدفعها من يجلس في مقصف أو مقهى يشرب شراباً غالياً أو شراباً رخيصاً مع قليل من المأكول.

منطقة بورتوريكو:

بورتوريكو: جزيرة كبيرة في البحر الكاريبي، زرتها مرتين، ذكرت الأولى منهما في كتاب: «جولة في جزر البحر الكاريبي»، والثانية ذكرتها في كتاب خاص بها وبجمهورية الدومينيكان التي عاصمتها (سانتو دومينغو).

ذكر الدليل أنها سميت بذلك لأن أوائل الساكنين فيها

كانوا من أهل (بورتوريكو)، أما الآن فقد ذهب ذلك، وصارت منطقة سكنية لهم ولغيرهم.

وأرانا الدليل المنطقة التجارية فيها، وهي ضيقة لأنها محلية خاصة بهذه المنطقة، وهذه المنطقة جيدة المظهر إلى درجة أن أرصفتها فيها زهور جميلة المنظر معتنى بها.

وقد ذكر الدليل أن فيها نوادي ليلية عديدة. لا أدري لم يركز على ذكر النوادي الليلية في أنحاء ميامي !.

سكان ميامي:

مررنا بشارع نوه الدليل بأنه يتصل بمنطقة ميامي (ميامي بيتش) أي شاطئ ميامي المشهور بأنه شاطئ الأثرياء المترفين، وبأن فيه فنادق ومطاعم وأنزلاً غالية.



شاطئ ميامي (ميامي بيتش)

وقد رأيته قبل هذه المرة، فلم أرَ فيه ما يعجبني، وبخاصة عندما قارنته في ذهني بشواطئ مدينة (ريودي جانيرو) التي تعتبر بحق أجمل، أو من أجمل الشواطئ في العالم كله، وقد ذكرت ذلك في كتاب: «الحل والرحيل في بلاد البرازيل».

كنت سألت الدليل عن عدد السكان في ميامي فاستمهلني وقال: سوف أذكر ذلك فيما بعد، وقد فعل إلا أنه ذكر سكان منطقة ميامي كلها، وليس مدينة ميامي وحدها.

ذكر أن في منطقة (ميامي) ٢٣ مدينة، أكبرها مدينة ميامي هذه التي نحن فيها، سكانها مليونان ومئتا ألف نسمة، منهم مليون واحد من الكوبيين، وعلى هذا يكون سكان كوبا يؤلفون أكبر مجموعة بشرية في ميامي، يليهم أهل أمريكا اللاتينية (الجنوبية) من غير أهل كوبا، وعددهم (٩٠٠) ألف، فإذا ضممتنا هذا العدد إلى عدد الكوبيين وهم جميعهم - أي الكوبيون - وسكان أمريكا الجنوبية يتحدثون الإسبانية، صار عدد الذين يتكلمون الإسبانية في ميامي أكثر من عدد الذين يتكلمون الإنكليزية بكثير.

وفي ميامي (٢٠٠ ألف) من الأمريكيين الشماليين البيض، أي ذوي الأصول الأوروبية، و ١٥٠ ألفاً من الأجانب.

ولم يذكر عدد اليهود هنا، وإن كان الصحيح أنه يوجد في ميامي منهم ٤٧ ألفاً، ولكنه اعتبرهم من البيض الأمريكيين.

أما الهجرة الكوبية إلى ميامي التي وصلت الآن إلى مليون

فأبقي من النص إلى هايتي

شخص فإنها بدأت في عام ١٩٥٠م.

وكانت أكبر مجموعة وصلت من كوبا مجتمعة هي (٢٠٠) ألف من الكوبيين السجناء والمعادين للثورة الشيوعية التي قام بها كاسترو، وفيهم مدمنو المخدرات، أرسلهم جميعاً في قوارب عندما كانت الولايات المتحدة تعلن للعالم من باب الدعاية ضد النظام الشيوعي الحاكم بأنه يمنع السكان الكوبيين من الخروج من البلاد، وبخاصة الذهاب إلى الولايات المتحدة.

لذلك لم يكن أمام الولايات المتحدة في ذلك الوقت أن تعيدهم من حيث جاؤوا، ولكنها اعتقلت بعضهم لأنهم من المجرمين، أو ممن ارتكبوا جرائم في كوبا.

وهذا من أسباب بقاء اللغة الإسبانية هنا، وكونها اللغة الأولى بالنسبة للتخاطب، إلا أن لغة التعليم في المدارس هي الإنكليزية، لذلك ينشأ الجيل الجديد وهو يعرف الإنكليزية من المدرسة، والإسبانية من البيت والمجتمع.

وسط المدينة:

قال الدليل: سوف نتجه الآن إلى وسط مدينة ميامي، ومعنى أسمها بلغة الهنود - يريد السكان الأصلاء قبل وصول الأوروبيين -: الماء العذب.

أقول: ما أقرب الحروف في هذا اللفظ الذي يعني الماء العذب من لفظة الماء بالعربية، ولاحظت أن الناس ينطقون باسمها ميامي

- بفتح الميم الأولى - على حين كنا نسمعه من الإذاعيين في البلدان العربية بكسر الميم الأولى، وهذا مطابق لكتابتها بالإنكليزية (MIAMI) .

وقد وصلنا إلى قلب المدينة بسرعة، ولكننا لم نره يختلف كثيراً عن الضواحي القريبة منه، وكانت الساعة قد بلغت الثالثة فأوقف سيارته عند سوق تجاري واسع فيه بضائع، وفيه مقاهٍ ومطاعم، وقال: سوف أعود بعد نصف ساعة.

وقد لمناه على ذلك، لأننا لم نر حاجة للوقوف عند هذا السوق، ويظهر أنه كان قد اتفق مع أصحابه مسبقاً على ذلك. وقبل الموعد المحدد كان يعود ويحملنا إلى فنادقنا منهياً هذه الجولة.

وقد قضينا نهاية اليوم في أمور لا تستحق الذكر، وفي الصباح الباكر بعده سافرنا إلى جزر البهاما وحديثها مع حديث بعدها في كتاب آخر عنوانه: « التشريق بعد التغريب في بحر الكاريب » والحمد لله.

ملخص زيارة وفد رابطة العالم الإسلامي

قام وفد رابطة العالم الإسلامي الذي كان فيه معي الأستاذ رحمة الله بن عناية الله مدير إدارة الدراسات في الرابطة بزيارة عمل واستطلاع لأحوال المسلمين ونشاطهم في جمهورية هايتي فيما بين ١٦- ١٨ ذي الحجة ١٤٢٠ الموافق ٢٢-٢٤ مارس ٢٠٠٠، وقد تضمن تقريرهما الآتي:

مدينة بورت أو برنس:

عاصمة جمهورية هايتي تقع في الجنوب الغربي على نهاية خليج غوناف GONAIVES ، وقد بناها الفرنسيون في عام ١٧٤٩ ثم أصبحت عاصمة للمستعمرة الفرنسية سانت دومنيك في ١٧٧٠، ثم اتخذها الأحرار عاصمة لجمهوريتهم هايتي المستقلة في عام ١٨٠٤ ، ويقدر سكانها حالياً بنحو مليوني نسمة، وهي ميناء رئيسي، كما هي المركز التجاري والصناعي في البلاد، لكونها أكبر مدينة في هايتي.

وفي هذه العاصمة يقدر عدد المسلمين بنحو ألف نسمة، وأغلبهم من الهايتيين بالإضافة إلى العرب من لبنان وفلسطين وسوريا، ويذكر أن عدد العرب يزيد عن الثلاثة آلاف، ولكن أكثرهم من المسيحيين، وأوضاعهم الاقتصادية جيدة، ولهم محلات تجارية كبيرة، ولا توجد سفارة عربية أو إسلامية فيها، مع أن لأسرائيل سفارة قديمة، واليهود أعدادهم لا تذكر.

ومع أن تاريخ وجود المسلمين يعود إلى عصر الاكتشاف، إلا

غاييتي من السفر إلى هايتي

أن الحركة الإسلامية يعود تاريخها إلى جهود الهايتيين المهاجرين إلى أمريكا، حيث يقدر عددهم هناك بمليونني هايتي مهاجر، فاعتنق نضر منهم الإسلام هناك، وعاد إلى هايتي ينشر الإسلام بين ذويه وأقاربه، وذلك خلال الربع الأخير من القرن العشرين الميلادي، ولكن لضعف الاقتصاد وقلة الثقافة الإسلامية لم يتمكن المسلمون من تأسيس مدرسة أو مركز إسلامي، حتى وصل الشيخ عبدول العلي، وهو هايتي قد أسلم في كندا عام ١٩٨٠ إلى بورت أوبرنس، وفتح منزله مصلًى في عام ١٩٨٥ ثم بجهود ذاتية ومساعدات محلية محدودة حوّل جزءاً من منزله إلى مسجد، ويجتمع المسلمون فيه لأداء الصلوات جماعة، كما يجتمعون فيه لتذاكر أمور دينهم ومجتمعهم، والمسجد له منارات صغيرة، وأماكن وضوء، ويقوم بشؤون الإمامة الشيخ عبدول العلي نفسه الذي يسكن في الجزء الخلفي الملاصق للمسجد، ويأمل أن يحول المنزل كله إلى مسجد كبير، مع فصل دراسي خاص، ومكتبة.

هذا هو المسجد الوحيد في بورت أو برنس، وقد كتب على مدخله: مسجد الفاتحة، ويقع في حي ديلماس رقم ١٨. DELMAS.

وقد أدى وفد رابطة العالم الإسلامي صلاة الجمعة ١٨/١٢/١٤٢٠ في هذا المسجد، وكان الخطيب والإمام في تلك الجمعة هو الأستاذ سمير عبد العزيز أمريكي من أصل يمني، يعمل في السفارة الأمريكية، وعقب الصلاة اجتمع الوفد إلى اللجنة التي تشرف على شؤون المسجد والعمل الإسلامي، وتعرف

فأبّيتي من السفر إلى هايتي

باسم الجماعة الإسلامية لهايتي وتضم خمسة أشخاص يرأسهم الشيخ عبدول العلي، ودار الحديث حول متطلبات العمل الإسلامي واحتياجاتهم، وعن النشاط المنحرف الذي بدأ يتسلل إليهم من بعض الأفراد الذين يترددون إليهم، مستغلين جهل المسلمين وفقرهم، ثم عرضت الجماعة مطالبهم الآتية:

١- إيجاد مقبرة للمسلمين.

٢- بناء مركز إسلامي يتكون من مدرسة ومكتبة ومستوصف.

٣- مصاحف وترجمة معاني القرآن الكريم باللغة الفرنسية وكتب وأشرطة فيديو وتسجيل لمختلف المواضيع الإسلامية واللغة العربية.

٤- حاجة الجماعة إلى جهاز كومبيوتر وطبع وتصوير وتسجيل لتسيير أعمالها.

٥- حاجة المسجد إلى مولد كهرباء لانقطاع التيار الكهربائي لفترات طويلة.

٦- توسعة المسجد.

٧- توظيف صلة الجماعة بالرابطة وتوفير منح دراسية لأبناء المسلمين.

وقد أجابهم وفد الرابطة بتأييد مطالبهم، ووعدهم بتقديم المساعدة المالية لإصلاح وتسوير المقبرة إذا حصلت الجماعة على أرضها من الدولة مجاناً، وإذا تعذر ذلك يمكن أن تنتظر الرابطة في المساعدة على الشراء إذا كتب لها بالتفصيل عن الأرض ومساحتها وقيمتها وكيفية تسجيلها، كما ستنتظر الرابطة في المساعدة على

وسعة المسجد إذا تم تسجيله وقفاً، ووعد بتزويدهم بالمصاحف والمواد الإسلامية، وتوفير منحتين دراسيتين، ثم قدم لهم مبلغ ثلاثة آلاف ومائتي دولار مساعدة من الرابطة لشراء المولد الكهربائي للمسجد، وكذلك تأمين الأجهزة المطلوبة للجماعة. وقد أعربت الجماعة الإسلامية عن تقديرها لاهتمام رابطة العالم الإسلامي بهم، وإرسالها الوفد للاتصال بهم والاطلاع على أحوالهم وأكدت على أهمية التواصل بين الطرفين.

التوصيات:

١- تزويد الجماعة الإسلامية بالمصاحف والترجمات الفرنسية والإنكليزية لمعاني القرآن الكريم، وكذلك تزويدهم بالكتب الإسلامية المختلفة.

٢- إرسال دوريات الرابطة وهيئة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة المطهره إليهم.

٣- تخصيص منحتين دراسيتين لأبناء المسلمين الهايتيين لدراسة العلوم الإسلامية والعربية.

٤- تعيين داعيتين ممن يجيدون اللغة الفرنسية، على أن يعمل أحدهما في بورت أو برنس والثاني في كاب هايتي.

٥- دراسة إمكانية الاستفادة من مشروع توسعة المسجد الحالي ضمن مشروع بناء مسجد في كل عاصمة ليس بها مسجد إذا تم تسجيل الأرض وقفاً له.

٦- تخصيص مبلغ كافٍ بالدولار للمساعدة في إيجاد مقبرة للمسلمين

فياضتي من العنصر إلى هايتي

في العاصمة بورت أو برنس^(١).

٧- توثيق الصلة بالجماعة الإسلامية بزيارتهم على فترات للاطلاع على أحوالهم ودعم نشاطهم مادياً ومعنوياً وكذلك دعوة بعضهم إلى الأراضي المقدسة لأداء مناسك الحج والعمرة، وأن توجه الدعوة لحج هذا العام لكل من:

أ- الشيخ عبدول العلي الإمام ورئيس الجماعة الإسلامية
لهائيتي

ب- الأستاذ حبيب الله سعيد عضو الجماعة الإسلامية

ج - الأستاذ طارق ساطي مهاجر لبناني من أهل السنة
متعاون مع الجماعة الإسلامية .

وبهذا انتهى تقرير وفد الرابطة عن زيارته للمسلمين في
جمهورية هايتي، وبالله التوفيق.

(١) لقد تم بعد ذلك رصد مبلغ كافٍ بالدولار الأمريكي لشراء مقبرة للمسلمين، وأشعر المسلمون في هايتي بذلك.

الفهرس

٦٣	في مدينة بورت أو أبرنس:
٦٤	العذاب في معاناة التراب:
٦٨	إفريقية بلا حسنة:
٧٧	صباح هاييتي:
٧٨	مسجد هاييتي:
٨١	الضدان المؤذيان:
٨٩	تاريخ المسجد:
٩٢	المسلمون في هاييتي:
	جولة واسعة في مدينة (بورت
٩٦	أو برنس):
٩٦	الميدان الوطني:
٩٧	نصب تحرير العبيد:
٩٨	البحث عن العرب:
١٠٣	السوق الوطني للخضرات:
١٠٧	الماليكون:
١٠٨	سوق الفحم:
١١٣	استحالة المرور:
١١٣	نيجيريا الصغيرة:
١١٥	المنطقة المرتفعة:
١١٦	حي ديلماس:
١١٨	الصعود إلى التلال:

	كتب مطبوعة في الرحلات
٤	للمؤلف
	مؤلفاته المطبوعة في غير
١٣	فن الرحلات
١٧	المقدمة:
١٩	تأخر زيارة هاييتي:
٢١	الغاية من الزيارة:
٢٥	جمهورية هاييتي
٢٥	الموقع والجغرافيا:
٢٧	الاقتصاد والحرف:
٢٨	السكان:
٢٩	التاريخ:
٣٣	حكومة هاييتي:
٣٤	الإسلام والمسلمون:
٣٧	من هافانا إلى ميامي:
٤٢	على أرض المكسيك:
٤٢	مطار كانكان:
٤٦	من كانكان إلى ميامي:
٥١	مغادرة ميامي:
٥٦	فوق جزيرة هسبنويولا:
٥٩	في مطار بورت أو برنس:

فأيتي من السفر إلى هاييتي

بدء الجولة: ١٧١	الحديث المتصل عن العرب: ١٢٠
بوابات الجباية: ١٧٣	شارع جوت رون: ١٢٠
كلام الدليل: ١٧٣	مواصلة الصعود: ١٢٣
منطقة النوادي الليلية: ١٧٤	ميدان سانت بيير: ١٢٤
المنطقة الفرنسية: ١٧٥	إلى قمة القمة: ١٢٥
الجزيرة الرابعة والعشرون: ١٧٦	العودة إلى المدينة: ١٣٠
الهاي وي: ١٧٧	السوق العربي: ١٣٠
اللغة الإسبانية: ١٧٨	مع قادة الجماعة الإسلامية: ١٣١
ميامي أفنيو: ١٧٩	التمثيلية الخالية: ١٣٥
منطقة الأيرلنديين: ١٨٠	جمعة هايتي: ١٣٧
وقفة في المدينة: ١٨١	صلاة الجمعة: ١٤٠
بهاما الصغرى: ١٨٣	عود إلى الكلام على الصلاة: ١٤٢
المدينة الجديدة: ١٨٣	كلمتي في القوم: ١٤٧
سبع عشرة قناة: ١٨٤	جلسة طيبة مع أعضاء الجمعية الإسلامية: ١٥٢
منطقة بورتوريكو: ١٨٥	أثر الإصلاح الوحيد: ١٦١
سكان ميامي: ١٨٦	ماسح الأحذية عند ضابط الجوازات: ١٦٢
وسط المدينة: ١٨٨	من بورت أو برنس إلى ميامي: ١٦٣
ملخص زيارة وفد رابطة العالم الإسلامي: ١٩٠	في مطار ميامي ثانية: ١٦٥
التوصيات: ١٩٣	جولة في مدينة ميامي: ١٧٠
الغفري: ١٩٥	



تلفون : ٢٣١٦٦٥٣ / ٢٣١٦٦٥٤
فاكس : ٢٣١٦٨٦٦ الرياض